عَالم الجنّ والملائكة

عبد الرزاق نوفل

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ.

«صدق الله العظيم»

الإهـــداء

إلى الباحثين عن الإيمان أُهديهم طريقاً إليه ...

وإلى الباحثين في الإيمان أُهديهم دليلاً عليه ...

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤلف

(أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ)

فى قفزات سريعة .. واسعة .. تخطى الإنسان حدود الأرض .. وأصبح على عتبة الفضاء .. يحاول أن يطرق أبواب الكواكب القريبة .. فلقد أرسل أجهزته ودارت حول القمر ثم استقرت عليه .. وتابعها بأخرى إلى كوكب الزهرة .. وكما هبطت هذه الأجهزة .. سيحاول أن يهبط الإنسان نفسه .. وكل خطوة له فى مجال الفضاء احتفل بها أيما احتفال .. وأقام لها مواكب الفرح وأعياد النصر .. ولابد أن هذا النجاح قد أدار .. ولو قليلا .. عقل البشرية .. فاغتر البعض .. وظنوا أنهم علموا أكثر ما جهلوا .. فلقد أصبح يطلق على هذا الجيل .. جيل الفضاء .. وعلى هذا العصر .. عصر العلم .. وعلى هذا الزمن .. زمان المعرفة .. وقال البعض ولِمَ لانبحث فى سر الحياة .. بل ولِمَ لانحاول

خلق الحياة .. فهل هذا حقاً .. ؟ .. وهل يمكن للإنسان ذلك ؟ .. وهل وصل علم الإنسان إلى ما يجعله يفكر فى ذلك .. حقاً . ؟ ..

فياترى كم قدر ما يعرف الإنسان .. وكم قدر ما يجهل .. ؟ ..

لو تدبر الإنسان وتفكر لحالته الحقيقة . . المخيفة . .

إذاً ما أكثر ما يجهله الإنسان .. وما أقل ما يعلمه .. ! !

إن الإنسان فى عالم نفسه .. لايعلم عنه إلا قليلا .. وما يعلمه إنما هو تعليلاته لما يرى وقد ارتاح إليها .. والله أعلم بحقيقتها .. وأما ما يجهله فهو الكثير .. إنه يجهل كيف تنقسم الخلية الحية فى جسمه .. إن انقسامها دليل تغذيتها ثم نموها .. فأين فضلات ما تغذت به . ؟ وهل هى تأخذ ما يلزم لنموها دون زيادة أوإسراف بحيث لا يتبقى منه أى أثر .. ؟ .. وكيف تختلف عمل الخلايا .. وتتباين وظائفها .. بل تتغير أشكالها .. رغم أنها كلها من خلية واحدة .. فالبعض تكون العظام .. وأخرى تكون الدم . . وغيرها تكون الأهداب والجفون .. وغيرها تكون العضلات والدهون ؟ . وكيف ولماذا تعصى خلية أو أكثر أمر التدبير فتقف عن النمو .. أوتفرط فيه .. فتسبب الهلاك لصاحبها .؟. وكيف لايدخل الماء من جلد الإنسان إلى داخله عند استحمامه أو سباحته ويخرج العرق من داخله .. مخالفاً بذلك كل القوانين العلمية التى تثبت أن المحلول يسير خلال الأغشية من الأقل تركيزاً إلى الأكثر تركيزاً فى محاولة لمعادلته .. فوجب على ذلك أن يدخل كل الماء الذى يلامس

الجسم إلى داخله .. وكيف ولماذا تدخل صور الأشياء مقلوبة فى العين ثم يعيدها المخ ..؟ عشرات بل مئات من الأسئلة كلها تؤكد جهل الإنسان بعالم نفسه ..

وأما عالم الحيوان .. وعالم النبات .. وعالم الأرض .. فالأمر لاشك أشد .. فإن الإنسان يحرص الحرص كله على أن يبدأ بمعرفة عالم نفسه .. قبل عالم غيره ..

وعالم الفضاء .. فإن الإنسان مازال يكتشف الطريق إليه .. وما أطول الطريق .. وما أبعد السفر ..

إلا أن هناك من العوالم ما تعتبر مجهولة تماماً للإنسان .. فهى ليست من ذات العوالم التى يستطيع أن يصل إليها بأساليبه التى يعرفها .. وهى ليست بالصورة التى يعهدها .. إنها عوالم مجهولة ..

ومن ضمن هذه العوالم المجهولة .. عالم الجن .. وعالم الملائكة ..

وإن العلم إذ بدأ يثبت وجود هذه العوالم فإنه لا سبيل عنده حتى الآن لأن يعرف عنها المزيد .. وإن القرآن الكريم قد تكفل .. سابقاً العلم .. بعشرات المئات من السنين ببيان هذه العوالم .. كما أوضح حقائقها إذ ينقطع طريق العلم عن إدراكها .. أو الوقوف عليها ..

وإذا كان هذا الكتاب (عالم الجن والملائكة) فيما جاء به من الاجتهاد — فالله وحده هو الذى يعلم الأمر كل الأمر — يعتبر دليلا من عديد على معجزة القرآن الكريم وأنه وحى الله سبحانه وتعالى لرسوله

الأمين .. إذ لاعلم للبشرية جميعاً على اختلاف أزمنتها واجتماع أجيالها يقارب بعض ما جاء به .. فإن مما يهدف إليه هو بيان بعض مظاهر قدرة الله سبحانه وتعالى فى الخلق . . ويشير بإشارة واضحة إلى بعض قدر ملكوت السموات والأرض ، ويعرض صورة سريعة وبسيطة لسعة هذا الكون .. الرهيب .. العميق .. الغريب .. العجيب .. المجهول .. والذى يدل على بعض قدرة خالقه ..

(فَسَبِّح بِاسمِ رَبِّكَ العَظيمِ)

« صدق الله العظيم »

عبد الرزاق نوفل

عالم الجن

إن من أهم ما اكتشفه العلم وتوصل إليه العلماء فى ميادين البحوث العلمية التى تختص بالذرة وطاقاتها ومكوناتها وجود عالم غير مرئى تشير إليـــه الأجهزة العلمية وتؤكده القياسات المعمايـــة . ولكن لايعرف العلم عنه شيئاً إلا بعض اليسير الذى يزيده غموضاً ويزيد من جهل الناس به إذ كل ما وصل إليه العلم عنه أن هذا العالم تسكنه مخلوقات غير مرئية تتكون من مادة غير المادة التى نعرفها والتى يتكون منها عالمنا المرئى وأن هذه المادة التى يتكون منها سكان العالم غير المرئى علاوة على طبيعتها الخاصة التى تجعلها غير مرئية لنا فإنها ذات حرارة رهيبة لم يمكن بعد معرفة درجتها وأنه أمكن فى ظروف معينة التأكد من إشعاعات وأضواء تعتبر أحد صور الطاقة الحرارية المنبعثة من أجسام هذه المخلوقات .

فلقد كان تفتيت الذرة بداية لسلسلة متواصلة من الاكتشافات العلمية وكلها تعتبر أروع وأخطر من تقسيم الذرة نفسها وبعد أن كان المعتقد أنها لاتتجزأ ولا تنقسم إذ أنها تناهت فى الصغر إلى حد يفوق كل تصور ويبتعد عن كل تخيل .. فحجم الذرة لايزيد على جزء من عشرة ملايين من المليمتر ، أى أن المليمتر المكعب الذى لا يكاد يرى والذى تبلغ أطواله أقل وحدة قياس نتعامل بها فى حياتنا العادية هذا المليمتر يضم عشرة ملايين ذرة .. وانطلقت الطاقة الذرية بتفتيت الذرة .. وكأنها المارد الخيالى الذى يداعب أحلام الأطفال

ويرمز إلى قوة تفوق كل ما عرف من قوة فهى تنفذ من الحديد وتغوص فى البحار وترفع سيدها إلى أعالى السماء .. وكطبيعة الإنسان الذى دائماً يبحث عن المزيد ولايقنع بما يصل إليه وإنما يتطلع إلى ما بعد ذلك .. وإلى ما فوق ذلك .. فإنه لم يقتنع بهذه الطاقة الذرية بل اتجه بالبحث إلى حيث يحصل على طاقة أقوى وقوة أشد . وهكذا وصل الإنسان إلى ما يمكن أن يقال بحق إنه أخطر وأعظم ما توصل إليه العقل البشرى . إذ ثبت أن الذرة ليست كما كان يعرف إلى عهد قريب مكونة من النواة التى توجد بها شحنات كهربائية موجبة هى البروتونات وحولها شحنات كهربائية سالبة هى الألكترونات . وقد توجد هباءات محايدة لاهى سالبة الكهربائية ولاهى موجبة ولكنها متعادلة .. بل إن بها جسيمات أخرى أمكن الوصول إليها وهى مختلفة الوزن والشحنة الكهربائية والحركة والمغناطيسية .. والأغرب والأعجب من ذلك أنها مختلفة فى عمرها الواحدة عن الأخرى .. كما اكتشف العلم وجود توائم مضادة لكل جسيم يشبهه تماماً فى كل خواصه ، إلاأنه يختلف عنه فى الشحنة الكهربائية .

ثم أعلن أخيراً أنه قد تمكن العلماء من التوصل إلى إنتاج جسيمات ذرية مضادة للبروتونات من الضوء باستخدام جهاز تحطيم الذرة الذى يسمى الاليكترون سيكروتون . وأعلن البروفسور بيتر شتايلين أحد العلماء الأحد عشر الذين يعملون كفريق واحد فى مركز أبحاث الطبيعية الذرية فى غرب ألمانيا أنهم استطاعوا إنتاج ثمانية عشر من هذه الجسيمات وهى نويات ذرات الهليوم ذات الشحنة الكهربائية

السالبة . وهذه الجسيمات السالبة عندما ترتطم مع توائمها ذات الشحنة الموجبة تنطلق منها طاقة هائلة تفوق الطاقة الذرية بآلاف المرات : وصرح شتايلين بأن إنتاج هذه الطاقة الجديدة يتم من توجيه سيل من جسيمات الضوء إلى ذرات الهليوم السائل فى مجال كهربائى مغناطيسى طوله خمسة وعشرون متراً باستخدام عدادات للجسيمات وعقل الكترونى . وبذلك أمكن الحصول على الجسيمات المضادة وأمكن فصلها عن باقى مكونات الذرات باستخدام عدادات شيرنيكوف التى تفصل الجسيمات السريعة عن الجسيمات الأقل سرعة وهى المضادة . ثم قرر العلماء أن الجسيمات الموجودة فى الذرات تتكون منها المادة المرئية وأن الجسيمات المضادة التى ثبت وجودها هى الأساس لمادة أخرى مرئية .. وهذه الجسيمات المضادة أمكن إنتاجها من الضوء فهى فى الطبيعة تتكون من مادة أخرى غير المادة التى يتكون منها العالم الذى نعرفه ونعيش فيه وأنها على درجة حرارة لا يعرف بعد مداها إلا أن الضوء إنما يشير إليها ويدل عليها دون أن يحدد درجتها .

وهكذا يقرر العلم فى السنوات الأخيرة من القرن العشرين وبعدأن اتسعت دائرة العلوم وتقدمت وسائل البحث أنه يوجد فى الكون عالم آخر تسكنه مخلوقات من مادة ذات درجة حرارة مرتفعة .. وبذلك فهى مخلوقات من نار ، فهل هو عالم الجن الذى ذكره القرآن الكريم ؟ :

فمنذ أربعة عشر قرناً من الزمان أورد القرآن الكريم النص الصريح الذى يعلن وجود هذه الكائنات التى خلقت من نار .. بل إن الآيات الشريفة قد أوردت فى لفظ مختصر وآية قصيرة كل الحقائق العلمية الخاصة بمادة هـذه الكائنات وأوضحت تكوينها وذلك فى النص الكريم :

(وَخَلَقَ الجَانَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ)

والمارج هو الشعلة الزرقاء التى تنبعث من المادة المشتعلة وتتميز بأنها على أعلى درجة من الحرارة . . وهى كذلك نار خالية من الدخان فهى بذلك واضحة وهذا أدق وصف علمى وأصدق تعبير عملى يمكن أن يطلق على مادة هذه الكائنات التى يقرر العلم وجودهـا من مادة ذات درجة حرارة عالية .

وتقول آيات القرآن الكريم عن مادة خلق الجان أيضاً :

(وَالجَانَّ خَلَقنَاهُ مِن قَبلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ)

ونار السموم هى الحر الشديد الذى ينتج من الحرارة المرتفعة وله خاصية النفاذ من كل المسام .

وأما أن هذا العالم بمخلوقاته غير مرئى لنا بطبيعة تكوينه واختلاف مادته عن المادة التى تستجيب لها حواسنا لنراها كما يقول العلم فإن القرآن الكريم قد قرر هذه الحقيقة وذلك فى النص الشريف :

(يَابَنِى آدَمَ لايَفتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُم هُوَ وَقَبِيلُهُ مِن حَيْثُ لاتَرَوْنَهُم)

وقد ورد فى القرآن الكريم لفظ الشيطان كاسم لإبليس وذلك فى مثل النص الشريف :

(وَإِذْ قُلنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الكَافِرِينَ . وَقُلنَا يَا آدَمُ اسكُنْ أَنتَ وَزَوجُكَ الجَنَّةَ وكُلا مِنها رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلا تَقرَبَا هذِه الشَّجَرَةَ فَتكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ . فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنهَا فَأَخرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ) .

كما قرر أن إبليس من الجن وذلك فى النص الكريم :

(وَإِذْ قُلنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبلِيسَ كَانَ مِنَ الجِنِّ فَفَسَقَ عَن أَمرِ ربِّهِ) .

وأن إبليس خلق كما خلقت الجن من النار وذلك فى الآيات الشريفة :

(قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَامَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ اسْتَكبَرتَ أَم كُنْتَ مِنَ العَالِينَ . قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّار وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِين) .

ولذلك يتردد القول بأن إبليس وجنوده من الشياطين إنما هم الكفرة العصاة من الجن وأما غيرهم فهم الذين يطلق عليهم الجن وإن تفاوتت درجات هدايتهم وطاعتهم .

وهكذا يصل العلم إلى بعض الحقائق الأولية عن مادة خلق الجن التى تتكون من نار ذات درجة حرارة عالية وبلادخان وأن هذه المادة بطبيعتها غير مرئية للعالم الإنسانى . وقد سبقه القرآن الكريم بعشرات المئات من السنين إلى إيراد الحقائق التى أراد الله سبحانه وتعالى أن يعرفها الإنسان عن الجن وعالمه والتى لايمكن أن يصل إليها العلم لاستحالة اخضاع هذا العالم غير المرئى لوسائل البحث والدرس والفحص . والله أعلم بمراده ومشيئته .

وبذلك فإن كل بحث علمى فى عالم الجن إنما يكون ببحث الخصائص العامة للمادة التى خلق منها الجن ويمكن عن طريق الاستنتاج الوصول إلى معرفة بعض ظواهر عالم الجن وخصائصه وصفاته .. وعندما يتأيد هذا الاستنتاج بما أورده القرآن الكريم عن عالم الجن كان ذلك من الحق واليقين الذى يعتمد عليه وأما إذا اختلف عما جاءت به الآيات الشريفة كان الاستنتاج سيئا والظن خطأ ويجب إعادة البحث فيما تفسر به آيات القرآن الكريم التى أوردت أخبار عالم الجن وأحواله فالقرآن الكريم هو الكتاب الوحيد الذى جاء بأنباء عالم الجن وتردد ذكره فى سور مختلفة بل أورد سورة كاملة عنه سميت باسمه هى سورة الجن إشارة إلى أهمية هذا العالم المجهول وخطورته ووجوب تفكير الإنسان فى مخلوقاته والتدبر فى شأنه معهم وشأنهم معه .

فالمادة التى خلقت الجن منها وهى النار أقوى أثراً على المواد الأخرى لاسيما مادة خلق العالم المرئى الذى نعيش فيه بما فيه من كائنات حية وعلى رأسها الإنسان وتأثيرها عليها أشد من تأثير مادة الإنسان عليها .. فالنار غالباً أشد أثراً فى الطين من أثر الطين على النار والطين هو المادة التى تتكون من عناصر التراب والتى ثبت بالتحاليل أنها تكون جسم الإنسان والنبات والحيوان، بل إن كل ما فى عالمنا هذا إنما يتكون من بعض أو كل عناصر هذا التراب .. وبالتجربة والمشاهدة التى لاتحتاج إلى دليل لتأكيدها فإن النار المعهودة لنا فى حياتنا هذه لها خطورتها على الطين وهى تؤثر فيه تأثيراً بالغاً دون أن يكون للطين نفس الأثر على النار .. وهذا لاشك مما قد يجعل بعض مخلوقات عالم الجن تعتقد أنها أفضل من ناحية التكوين ومن ناحية مادة الخلق من كثير من الكائنات ، بل من كل الكائنات التى خلقت من مادة أقل من النار والتى منها الإنسان نفسه رغم ما فى الإنسان من ميزات أخرى تجعله أفضل .. وهذا ما اعتقده إبليس وهو من الجن إذ عصى ربه عندما خلق الله سبحانه وتعالى الإنسان وطلب من الملائكة أن يطيعوا ماخلق وأن يكونوا مسخرين له وذلك بنص آيات القرآن الكريم :

(إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّى خَالِقٌ بَشَرًا مِّنْ طِينٍ . فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ . فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُم أَجمَعُونَ .

إِلَّا إِبلِيسَ استَكبَرَ وَكَانَ مِنَ الكَافِرِينَ . قَالَ يا إِبلِيسُ مَامَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقتُ بِيَدَىَّ أَستَكْبَرْتَ أَم كُنْتَ مِنَ العَالِينَ . قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنٍ طِينٍ) .

وهكذا بدت أهم صفة من صفات مخلوقات عالم الجن ألاوهى الكبر والاستكبار إلى الدرجة التى جعلت إبليس يفسق عن أمر ربه بالنص الشريف :

(وَإِذ قُلنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبلِيسَ كَانَ مِنَ الجِنِّ فَفَسَقَ عَن أَمرِ رَبِّهِ) .

بل ويصبح من الكافرين الملعونين الذين لاترفع عنهم اللعنة إلى يوم الدين وذلك بنص الآيات الكريمة :

(قَالَ فَاخرُجْ مِنهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ . وَإِنَّ عَلَيكَ اللَّعْنَةَ إِلى يَوْمِ الدِّينِ) .

وعالم الجن شأنه كشأن باقى العوالم الأخرى يتكون من أمم وجماعات . وقد أورد القرآن الكريم الآيات التى تؤكد هذه الحقيقة وذلك فى مثل النص الشريف :

(قَالَ ادْخُلُوا فى أُمَمٍ قَدْ خَلَت مِنْ قَبلِكم مِّنَ الجِنِّ والإِنْسِ فى النَّارِ) .

ومن طبيعة الجماعات والأمم أن يختلف أفرادها فيما يختلف فيه الفرد عن الآخر وكشأن كل الأمم تتفاوت درجات من فيها فيوجد فيها الصالح الأمين والفاسد الشرير والمؤمن التقى النقى والكافر الضال الشقى .. كذلك عالم الجن فيه المؤمنون بالله .. المسلمون له .. الصادقون فى إيمانهم .. الموحدون ذاته .. وفيه إبليس اللعين وجنوده الضالون المضلون .. وهذا ما يقرره القرآن الكريم فى الآيات الشريفة من سورة الجن فتقول :

(قُل أُوحِىَ إِلىَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرآناً عَجَباً . يَهدِى إِلى الرُّشدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا . وَأَنَّهُ تَعَالى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلا وَلَدًا . وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلى اللهِ شَطَطًا . وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن تَقُولَ الإِنسُ وَالجِنُّ عَلى اللهِ كَذِبًا) .

(وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا) .

(وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الهُدَى آمَنَّا بِهِ فَمن يُؤْمِن بِرَبِّهِ فَلا يَخَافُ بَخساً وَلا رَهَقاً . وَأَنَّا مِنَّا المُسلِمُونَ وَمِنَّا القَاسِطُونَ فَمَن أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا)

وكما يوجد بين عالم الإنس من يعتبرون شياطين منهم فكذلك فى عالم الجن شياطين منهم وذلك بنص الآية الشريفة :

(وَكَذَلِكَ جَعلنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالجِنِّ يُوحِي بَعضُهُم إِلَى بَعضٍ زُخرُفَ القَولِ غُرُورًا) .

والجن خلقوا كما خلقت الإنس ليعبدوا الله سبحانه وتعالى فيطيعوه طاعة تامة ولايعبد الإنس الجن ولايعبد الجن الإنس كما لايعبد الإنسان غيره من الناس ولايعبد الجن غيره من الشياطين أوالجان وفى ذلك يقول القرآن الكريم :

(وَمَا خَلقتُ الجِنَّ والإِنسَ إِلا لِيَعبُدونِ) .

ورحمة من الله سبحانه وتعالى بما خلق سواء من الإنس أوالجن فقد أرسل جل شأنه الرسل لعالم الجن من بينهم لهدايتهم يبلغونهم رسالات الله عز شأنه كما أرسل الرسل من بنى الإنسان للناس وذلك بنص القرآن الكريم فى الآية الشريفة :

(يَا معشَر الجِنِّ والإِنسِ أَلَم يَأْتِكُم رُسُلٌ مِنكُم يَقُصُّونَ عَليكُم آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُم لِقَاءَ يَومِكُم هَذَا قَالُوا شَهِدنَا عَلَى أَنفُسِنَا وَغَرَّتهُم الحيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنفُسِهِم أَنَّهُمْ كانُوا كَافِرِينَ) .

وعالم الجن فيه الذكور وفيه الإناث وبذلك يتأكد تزاوجهم وتناسلهم وزيادة عددهم وكثرتهم كثرة عددية ، فقد أوردت آيات القرآن الكريم مايفيد وجود رجال من الجن . الأمر الذى يتأكد معه وجود جنس يخالف ذلك كما جاء فى النص الشريف :

(وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَال مِّنَ الجِنِّ فَزَادُوهُم رَهَقاً) .

كما أن هناك آيات أخرى تفيد أن الجن تقرب النساء كما يقربهن الرجال، وهذا ما يؤكد تزاوج الجن فى عالمهم وذلك فى مثل نص الآيات الكريمة :

(فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبلَهُم ولا جَانٌّ) .

(حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِى الخِيَامِ . فَبِأَىِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ . لمْ يَطمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبلَهم وَلاجَانٌّ).

وللجن القدرة على التشكل بإرادتهم الذاتية فى صورة آدمية ، وعلى شكل معين وهيئة محددة من الإنسان . وكذلك فى صورة أية كائنات أخرى حية على اختلافها ، فلقد تشكلت فى هيئة جنود لسليمان بالنص الشريف من القرآن الكريم :

(وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الجِنِّ وَالإِنسِ والطَّيرِ فَهُم يُوزَعُونَ) .

كما أن سيدنا محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (من رآنى فى المنام فقد رآنى فإن الشيطان لايتمثل بى) .. وبذلك فإنه يمكن للشيطان للحظات أن يتمثل بأى أحد بحيث يلتبس على الإنسان عندما يراه أن يعتقد أنه هو الأصل فيما عدا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم . غير أن شكل الجن العادى حيث يوجد على طبيعته لايمكن التكهن به .

وكطبيعة الأمم والجماعات فإن للجن رؤساءه ووزراءه وشعوبه ، ولابد أن لكل طائفة منهم ما تقوم به وما تكلف به .

ومقدار عالم الجن يكاد يماثل عالم الإنس الذى نعيش فيه أو يزيد .. ولا بد أن عالم الجن من الكثرة حتى ينادى القرآن الكريم على العالمين سوياً ويذكرهما فى بعض الآيات الشريفة مثل :

(يَامَعشَرَ الجِنِّ والإِنسِ إنِ استَطَعتُم أَن تَنفُذُوا مِن أَقطَارِ السَّموَاتِ والأَرضِ فَانفُذُوا لاتَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلطَانٍ) .

(وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا اللَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ الجِنِّ والإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقدامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الأَسفَلِينَ) .

(قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالجِنُّ عَلى أَن يَأْتُوا بِمِثلِ هَذَا القُرآنِ لايَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَو كَانَ بَعضُهُم لِبَعضٍ ظَهِيرًا) .

والجن بطبيعتها وصفاتها لها القدرة على إمكانية الاتجاه إلى كل الجهات حتى الحد الذى لاتستطيع المخلوقات تجاوزها كل بقدر ما تقرر لها . ولقد وصلت الجن فى وقت بسياحاتهم السريعة البعيدة إلى ما يمكنهم معه لمس السماء والاقتراب منها قرباً يجعلهم يتسمعون فيها وذلك بالنص الشريف :

(وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَساً شَدِيدًا وَشُهُباً . وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَاباً رَّصَدًا).

وهكذا حجب عنهم الاستماع والاقتراب من السماء .

وتتضح سرعة الحركة فى عالم الجن فى قصة سيدنا سليمان عليه الصلاة والسلام إذ أعلنت الجن أنها تستطيع أن تأتى بعرش بلقيس من اليمن إلى الشام بسرعة تتمثل فى أنها ستطوى هذه المسافة حاملة عرش بلقيس فى وقت قصير وقبل أن يقوم الجالس من مكانه أويتحرك للقيام ، وهذا تصوير للسرعة التى تتباهى بها الجن وفى ذلك تقول آيات القرآن الكريم :

(قَالَ يَا أَيُّهَا المَلأُ أَيُّكُم يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبلَ أَن يَأْتُونِى مُسلِمِينَ . قَالَ عِفرِيتٌ مِّنَ الجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ) .

ولكن الحقيقة أن هذه القدرة لعاجزة ومحدودة وقاصرة بالنسبة لقدرات بعض أفراد النوع الإنسانى .. فإن من الصالحين من البشر من هم أقوى وأسرع من الجن مرات ومرات .. فعندما طلب سيدنا

سليمان من الحاضرين معه من الجن والإنس أن يأتوه بعرش بلقيس كوسيلة لعرض مظاهر قوة سليمان الخارقة حيث يستطيع بها أن يؤثر فى الملكة بلقيس ويدعوها إلى الإيمان بالله الواحد الأحد وتكون هذه الظواهر هى أدلة مادية على أن الله سبحانه وتعالى يؤيده وأنه رسول الله لهدايتها .. وعرض عفريت من الجن أن يأتيه بعرشها قبل أن ينفض الاجتماع ويقوم من مقامه حيث كان يجلس للحكم بين الناس والقضاء بين المتنازعين من الصبح إلى الظهر تماماً .. ويتضح من السياق أن سيدنا سليمان قد وجد أنها فترة طويلة أن ينقل العرش فى نصف يوم بحيث لايمكن مع ذلك اظهار القدرة الخارقة وهذا يشير إلى أن سيدنا سليمان يعلم أنه يمكن نقل هذا العرش فى أسرع من ذلك وأن من البشر من يستطيع ذلك باذن الله .. وبذلك عندما شعر الحاضرون أن سيدنا سليمان قد وجد أن هذه الفترة طويلة انبرى من بين الجمع رجل من الصالحين يعرض عليه أن يأتى بالعرش فى غمضة عين بل قبل أن يرتد رمش العين إليها .. وهذه لحظة خاطفة تكاد لاتذكر .. فما أبعد النسبة بينها وبين نصف يوم .. وهذا ما يشير إلى البعد بين قدرة الرجل الصالح الذى وفقه الله سبحانه وتعالى إلى الاتصال به والقرب منه . فوهبه القوة التى لاتقف فى سبيلها العقبات أو الحواجز والتى لاتحدها الأبعاد والمسافات والسرعة الفائقة التى تطوى فيها المساحات طياً دون أن يستطيع أى متحرك مهما كان أن يلاحقها . وبين قدرة الجن .. وهذا هو الفارق بين الإنسان الصالح الذى ملأ الإيمان قلبه وفاضت باليقين نفسه . وتقرب إلى الله بما يجعله يفيض عليه من وسائل

القرب .. وبين الجن التى أوتيت السرعة والخفة .. والتى قد تغرى بها بعض الناس .. وهكذا تقدم الرجل الصالح ونقل لسليمان عرش بلقيس فى أقل من لحظة خاطفة .. وقبل انتهاء رمشة العين وجد سليمان العرش مستقراً عنده وفى هذا تقول آيات القرآن الكريم :

(قَالَ يَاأَيُّهَا الْمَلأُ أَيُّكُم يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبلَ أَن يَأْتُونِى مُسلِمِينَ . قَالَ عِفرِيتٌ مِّنَ الجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِنْ مَّقَامِكَ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ . قَالَ الَّذى عِندَهُ عِلمٌ مِّنَ الكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبلَ أَن يَرتَدَّ إِليكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَه قَالَ هَذَا مِن فَضلِ رَبِّى لِيَبلُوَنِى أَأَشكر أَم أَكفرُ ومَنَ شَكَرَ فإِنَّمَا يَشكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ).

ولقد كانت طبيعة خلق الجن من نار وسرعتها وحركتها وخفتها من الأسباب التى جعلت بعض الأفراد من الإنسان يحاولون الاتصال بالجن واستخدامهم بل والالتجاء إليهم والطاعة لهم وذلك بنص الآية الكريمة :

(وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقاً) .

وهكذا أجابت الآية الشريفة صراحة وبوضوح بنتيجة اتصال الإنسان بالجن ومحاولة الاستعاذة به والالتجاء إليه ، فليس من نتيجة لذلك إلا الضرر وزيادة التعب والنصب . ولافائدة ترجى إطلاقاً من الجن للإنس فهى لاتستطيع دفع أذى عنه ولاتجلب له فائدة .. ولعل من الخطأ الشائع لدى الإنسان أن الجن بما أوتيت من سرعة الحركة ويسر الانتقال من جهة إلى أخرى فى الأرض أو السماء تستطيع أن تعرف ما حجب عن الإنسان أو التنبؤ بمستقبله حيث قد سطر لكل إنسان عمله وماضيه وحاضره ومستقبله فى لوحة الكون بطريقة ما وفى مكان ما .. إلا أن الحقيقة أن الجن لاتعلم من الغيب شيئاً شأنها فى ذلك شأن الإنسان ولاتستطيع التنبؤ بما قد يحدث .. بل إن علم الإنسان ومعرفته العامة قد تكون أكثر مما تعرف أو تعلم الجن .. فقد سخر الله سبحانه وتعالى لسليمان من الجن من يعمل بما يأمره به فقامت الجن بإرادة الله وبإشراف سيدنا سليمان بتشييد قصور كبيرة محصنة تمام التحصين يمكن اتخاذها للحرب والدفاع .. وصورت له تماثيل من خشب ونحاس ومعادن أخرى .. كما صنعت أوانى للطهى ذات أحجام بالغة لايخشى عليها من السقوط أو الاهتزاز فهى رغم حجمها الكبير راسية على الأرض تماماً وأعدت الجن كذلك الصحاف الممتدة للأكل وكأنها لطولها وعرضها وضخامة مساحتها الحياض التى تروى الأرض . . ولا شك

أنها كانت تقوم بهذا العمل بالسرعة والإتقان الذى تشير إليه الآيات الشريفة من القرآن الكريم، إذ أن هذا العمل إنما كان من فضل الله على سليمان .. وبالرغم من هذه القوة الهائلة والسرعة الفائقة فإن الجن ظلت تعمل أسيرة لأوامر سليمان حتى مات سليمان وهو يستند إلى عصاه ولاتعرف الجن موته وتستمر كذلك فى العمل خوفاً منه حتى بدأت حشرة الأرض التى تأكل الخشب تتغذى على عصا سليمان التى يستند إليها فلما فقدت العصا قوتها ومتانتها بما أكلته الحشرة ولم تستطع تحمل ثقل جسد سليمان سقط الجسد على الأرض وهنا عرفت الجن أن سيدنا سليمان قد مات وأنهم ظلوا فترة طويلة فى عذاب العمل وهم أسرى لأوامره دون أن يعلموا الغيب المحدد لحياته، بل دون أن يتنبهوا وهم بجواره وحوله بحالته فيلحظون موته . وفى ذلك تقول آيات القرآن الكريم :

(وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهرٌ وَرَوَاحُهَا شَهرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَينَ القِطْرِ وَمِنَ الجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَينَ يَدَيهِ بِإِذنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنهُم عَن أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِن عَذَابِ السَّعِيرِ. يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ وتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ اعمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ. فَلَمَّا

قَضَيْنَا عَلَيهِ الموتَ مَادَلَّهُم عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الجِنُّ أَنْ لَّو كَانُوا يَعلَمُونَ الغَيبَ مَالَبِثُوا فى العَذَابِ المُهِينِ .)

وهكذا يتأكد جهل الجن بالغيب بل وجهلهم بما هو أوضح من الغيب إذ جهلوا حقيقة واضحة لكل عين موجودة .. ألا وهى موت سيدنا سليمان . .

وللجن شأن مع الإنسان أى شأن .. فإن من طبيعة النار وقد خلقت الجان من نار الأذى والتدمير والتخريب وإن خبت ففيها الأثر المدمر وإن كان فيها بعض النفع فهو نفع لايؤتمن بينما ليس للمردة والشياطين وجنود إبليس من الجن أى نفع يؤتمن وإنما منهم الضرر كل الضرر وفيهم الأذى كل الأذى وكان ذلك دائماً هو الشأن فيما بين الجن العصاة وعلى رأسهم إبليس وبين الإنسان وذلك منذ أن خلق الإنسان الأول فلقد خلقت الجن قبل الإنسان إذ أن الله سبحانه وتعالى أمر الملائكة بالسجود لآدم بعد أن خلق فأبى إبليس وهذا ما يدل على أن إبليس يسبق الإنسان فى الخلق .. وبعد اللحظات الأولى من خلق آدم وحواء وبعد أن استمعا إلى ما أمرهما الله به حفاظاً عليهما ورحمة بهما .. وما نهاهما عنه حتى تستمر حياتهما فى الجنة .. وبعد أن تبينا بأنفسهما كراهية إبليس لهما وحقده عليهما بدأ إبليس فوراً عمله معهما حيث وسوس لهما بمعصية الله سبحانه وتعالى .. وبلغ التحايل منه أنه أورد

لهما من الأسباب ما يجعلهما يستجيبان له إذا لم يتدبرا أمره فيما كان بينه وبين الله عند خلق آدم .. فكيف يستجيب كائن لمن عصى الله ولم يستمع لأمره ؟ . مهما أبدى من الأسباب ومهما أورد من الأعذار.. ومهما ساق من الأداة ؟.. ولم يكتف إبليس بذلك بل إنه زيادة فى دفعهما إلى الضلال وإزالة لأى شك قد يتولد فى نفسيهما منه فإنه أقسم أنه لهما من الناصحين .. وبديهى أن من عصى ربه وكفر بأمره فلا قسم له ولاإيمان عنده ولا صدق منه .. وفى ذلك تقول آيات القرآن الكريم :

(وَيا آدَمُ اسكُن أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلا مِن حَيثُ شِئْتُمَا وَلا تَقرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ.فَوَسوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوءَاتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَن هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَن تَكُونَا مَلَكَينِ أَوتَكُونَا مِنَ الخَالِدِينَ. وَقَاسَمَهُمَا إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ) .

واستجاب آدم وحواء لإبليس .. فكان الجزاء أن غضب الله عليهما .. وأنزل درجتهما .. وأخرجهما من الجنة .. وأهبطهما الأرض

بعد أن أهبط إبليس منها بعد أن تكبر فيها وفاضل بين نفسه وبين آدم واعتقد بأفضليته عليه وذلك بالنص الشريف :

(قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنهُ خَلَقْتَنِى مِن نَارٍ وَخَلقتَهُ مِن طِين . قَالَ فَاهبِط مِنهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ) .

ولقد شعر إبليس بسوء ما عمل وأحس بهول ما وقع منه ودعا ربه أن يؤخر عقابه إلى حين فلاشك قد تخيل بالغ حسابه وقدر خسرانه وذلك بالنص الكريم :

(قَال أَنظِرْنِى إِلى يَوم يُبْعَثُونَ . قَال إِنَّكَ مِنَ المُنظَرِينَ) .

وحتى تتحقق طبيعة النار من إضرار وتخريب فإنه كما بدأ عمله مع آدم وحواء فقد أعد نفسه ليضل كل بنى آدم جميعاً حيث قالت آيات القرآن الكريم :

(قَالَ فَبِمَا أَغوَيْتَنِى لأَقعُدَنَّ لَهُم صِرَاطَكَ المُسْتَقِيمَ . ثُمَّ لآتِيَنَّهُمْ مِّن بَيْنِ أَيْدِيهم وَمِنْ

خَلْفِهم وَعَن أَيْمَانِهِم وَعَن شَمَائِلِهِم وَلا تَجِدُ أَكثَرَهُم شَاكِرِين. قَالَ اخرج مِنهَا مَذءُوماً مدحُورًا لَمَن تَبِعَكَ مِنهُم لأَملأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُم أَجمَعِينَ) .

وقد كانت ذرية آدم من أهم ما اتجه إليها إبليس حيث يستمر عمل إبليس وجنوده مع البشر جميعاً وذلك بالنص الكريم :

(قَالَ أَرأَيتَكَ هَذَا الَّذى كَرَّمتَ عَلَىَّ لَئِن أَخَّرتَنِ إِلى يَومِ القِيَامَةِ لأَحتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلاً) .

وأوردت آيات القرآن الكريم أنه علاوة على أن جنود إبليس والشياطين والمردة من الجن يحاولون إضلال الناس بأن يأتوهم من اليمين والشمال والأمام والخلف ومن كل اتجاه فإنهم يحاولون بوسائل أخرى .. بإلقاء الحديث إليهم .. والوعود الكبيرة الكاذبة .. ويزينون لهم كافة طرق الغواية .. وتبين آيات القرآن الكريم وسائل ذلك فى النص الشريف :

(واستفزِز مَنِ استَطَعتَ مِنهُم بِصَوتِكَ وَاجلِب عَلَيهم بِخَيلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُم فى الأَموال وَالأَولادِ وَعِدْهُم وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيطَانُ إِلَّا غُرُورًا)

وهكذا يتأكد الأمر أن الشياطين ستثير الإنسان بأصواتها سواء أكانت همساً أم ترديداً ومن كل طوائف الجن على اختلاف هيئاتها سواء كانوا راجلين أم راكبين الخيل وسواء أكانت بذلك سرعتهم سرعة بطيئة كسرعة المترجل أم أسرع من ذلك كالمستخدمين وسائل الحركة . . وأنهم كذلك سيحاولون التأثير على الناس حتى يكسبوا من حرام ويأتوا من كل الفواحش ما يجعل أموالهم وأولادهم وكأن الشياطين شركاء لهم فيما اقتنوا لأنها جاءت من الطريق المحظور الذى لايلجه إلا كل مذنب خطاء . . وإن الشياطين فى كل ذلك إنما سيلقون إلى الناس بالوعود الخلابة وماهى بالحقيقية وإنما هى الغرور .

وليس ذلك فقط ، بل إن محاولات الشيطان مع الإنسان كثيرة ومتعددة ومختلفة الأشكال فمنها كل طرق الضلال على اختلافها ومنها إلقاء الأمانى الكاذبة والأوامر الخاطئة والتى كان منها شق آذان الأنعام واعتبارها بذلك ملكا للأصنام فلايستفيد بها أحد ولا يقربها بائع أو مشتر .. وكذلك منها محاولة تغيير خلق الله عن طريق الوشم أو خصى الرقيق حتى يتغير حاله من ذكر إلى غيره .. وعود وأمانى كلها كاذبة وكلها ضالة مضللة وذلك بنص الآيات الشريفة من القرآن الكريم :

(وَلأُضِلَّنَّهُم وَلأُمَنِّيَنَّهُم وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الأَنْعَامِ وَلآمُرَنَّهُم فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللهِ وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّامِن دُون اللهِ فَقَد خَسِرَ خُسرَاناً

مُبِيناً . يَعِدُهُم وَيُمَنِّيهِم وَمَا يَعِدُهُم الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا) .

وتختلف الآراء فى العدد التقريبى للجن ، بل إن البحاث لم يحاولوا التعمق فى هذا الاتجاه لأن كل ما سيصل إليه المجتهد إنما هو عن طريق الظن يقيناً .. فهل الجن أكثر من بنى الإنسان عدداً ؟ وهل هم كثرة بالغة ؟ . أم هل يقتربون منهم عدداً ؟. فإن المؤكد أن لكل إنسان قرينه من الجن إذ تقول آيات القرآن الكريم :

(وَجَاءَتْ كُلُّ نَفسٍ معَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ . لقَد كُنتَ فى غَفلَة مِّن هَذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ اليومَ حَديدٌ. وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مالدى عَتِيدٌ).

(قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطغَيتُهُ وَلَكن كَانَ فى ضَلالٍ بَعيدٍ) .

وبعض القرين من الشياطين وذلك بالنص الشريف :

(وَالَّذينَ يُنفِقُونَ أَموَالَهُم رِئَاءَ النَّاسِ وَلا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلا بِاليَومِ الآخِرِ وَمَن يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قريناً فَسَاءَ قَريناً) .

(وَمَن يَعْشُ عَن ذِكرِ الرَّحمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيطَاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ) .

ولما كانت الشياطين هم بعض أفراد الجن فيكون ما بقى من القرين هم من الجن أيضاً ولو أنهم من غير الشياطين .. فهل عدد الجن كعدد بنى الإنسان فقط ، أم هل يوجد فى عالم الجن العدد الأكثر من العدد المقابل للنوع الآدمى ؟ . وبذلك فإن أقل عدد يمكن أن يكون لعالم الجن هو عدد أهل الأرض من بنى الإنسان .. ولقد ورد فى الأحاديث الصحيحة عن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن كل مولود يولد له جنى يختص به وذلك بنص الحديث (لكل مولود قرين من الجن) .

وكما يوسوس الجن للإنسان فإنه يتلقى منه .. فإذا كان جن الإنسان شيطانا فإنه يحاول قدر الاستطاعة غوايته بما يهتف له فى نفسه وبما يوسوس له من داخله .. وكم يحاول الإنسان دفع هذه الوسوسة والبعد عن هذا التوجيه بل كثيراً ما يحاول الإنسان أن يجاهده بما يرد به عليه .. وفى الصراع القائم فإن أيهما تغلب على الآخر فقد اتجه المغلوب مع الغالب .. وقد ورد ذلك فى حديث سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حينما سئل عما إذا كان له قرين من الجن فقالوا (حتى أنت يارسول الله ؟ قال حتى أنا إلا أن الله أعاننى عليه) .

وهكذا يتأكد أن لكل فرد من الناس جنا يختص به وأنه كما يحاول أن يضله فإن الإنسان يستطيع أن يتغلب عليه .

وتعتبر وسوسة الشيطان للإنسان من أهم صور المحاولات التى يبذلها للناس جميعاً حتى يجعلهم يعدلون عن الطريق السوى وينحرفون عن الصراط المستقيم .. وما من إنسان أيا كان بمنجاة من هذه المحاولات بل حتى الأنبياء والرسل جميعاً لم يسلموا من هذه المحاولات وذلك بالنص الشريف :

(وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبلِكَ مِن رسُولٍ وَلانَبِىٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فى أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللهُ مَا يُلقِى الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحكِمُ اللهُ آيَاتِهِ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) .

وتقص علينا النسخ المتداولة من الأناجيل المحاولات المتعددة التى حاولها إبليس مع سيدنا عيسى عليه السلام فعندما وجد إبليس أن عيسى قد اجتهد فى العبادة وصام أربعين يوماً وليلة وأحس لذلك بالجوع طلب منه أن يحيل الحجارة خبزاً فلما أعرض عيسى عنه أخذه إبليس إلى المدينة المقدسة وتوجه به إلى أعلى قمة من الهيكل ووسوس له أن يلقى بنفسه من هذا الارتفاع وان يصيبه الأذى لأن الملائكة ستحول بينه وبين الاصطدام بالحجر فرفض عيسى لأنه لايريد أن يمتحن إرادة الله ومشيئته .. وعز ذلك على إبليس وحاول أن يغرر بعيسى عليه السلام مرة أخرى فأخذه إلى جبل عال جداً وأراه جميع الممالك التى يتكون منها العالم الأرضى وأوضح له بهجتها وزينتها

ووسوس إليه أن هذه البلاد والأرض لإبليس وأنه يمنحها لسيدنا عيسى إن سجد له . وبديهى أن هذه كانت أخطر ما يوسوس به إبليس للإنسان حيث يطالبه بالكفر والسجود له بدلا من السجود لله سبحانه فنهره عيسى عليه السلام مقرراً له أن السجود إنما لله وحده وهو سبحانه وتعالى المعبود فقط ، وبذلك تركه إبليس . وفى ذلك يقول إنجيل متى فى الإصحاح الرابع .

(ثم أصعد يسوع إلى البرية من الروح ليجرب من إبليس . فبعد ما صام أربعين نهاراً وأربعين ليلة جاع أخيراً . فتقدم إليه المجرب وقال له إن كنت ابن الله فقل أن تصير هذه الحجارة خبزاً . فأجاب وقال مكتوب ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان بل بكل كلمة تخرج من فم الله . ثم أخذه إبليس إلى المدينة المقدسة وأوقفه على جناح الهيكل . وقال له إن كنت ابن الله فاطرح نفسك إلى أسفل . لأنه مكتوب أنه يوصى ملائكته بك . فعلى أياديهم يحملونك لكى لاتصدم بحجر رجلك . قال له يسوع مكتوب أيضاً لاتجرب الرب إلهك . ثم أخذه أيضاً إبليس إلى جبل عال جداً وأراه جميع ممالك العالم ومجدها . وقال له أعطيك هذه جميعها إن خررت وسجدت لى . حينئذ قال له يسوع اذهب ياشيطان . لأنه مكتوب للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد . ثم تركه إبليس وإذا ملائكة قد جاءت فصارت تخدمه) .

وبقليل من التأمل وبلحظات من التفكر يمكن للإنسان أن يكتشف وسوسة الجن له ويقف على كل مايندث به فى داخله وعندئذ سيجد الإنسان عجباً ويرى حقيقة موقف الجن منه وما يتخذه بشأنه :

وبديهى أن ذلك هو الطريق الإيجابى الذى لايبارى والدليل المادى الذى لايدانى للوقوف على محاولات الجن المتصلة والمتواصلة والدائمة للتأثير فى الإنسان . ولابد أن كل إنسان قد مر فى حياته بفترة شك مدمرة ووجد التساؤل ينبعث من داخله عن الوجود والحياة والموت والجنة والنار والثواب والعقاب .. بل وعن الهدف من الخلق .. وأسبابه وبدايته ونهايته .. بل وما قبل البداية وما بعد النهاية .. ولابد أنه أحس بمعارضة قوية لكل ما قد يكون استمع إليه أواجتهد فيه من بواعث الإيمان وأدلة التوحيد وأسباب الخلق .. وكم من شاب طالت به فترة الشك والقلق وتعقدت بذلك حياته .. وما من سبب لهذا الشك والقلق إلامايوسوس به الشيطان له .. ومايلقيه الجن فيه .. إذ بمجرد أن يبدأ الشاب ينضج عقلياً ويستعد للتأمل والتفكر فيما حوله ليضيف إلى إيمانه الفطرى الإيمان العقلى والعلمى ليصبح بذلك عصياً على الكفر ممتنعاً على الشك حتى يبدأ الشيطان محاولاته الحادة الرهيبة معه .. أين الله . ؟ وكيف تؤمن بما يغيب عن إدراكك ويحتجب عن بصرك ؟.. ولماذا يحتجب الله ؟ . ولماذا هذا يولد غنياًويزداد ثراء وجاهاً وذاك يولد فقيراً ويتضاعف فقره وتزداد حاجته ؟ .. ولماذا يموت الشاب بعد أن ينتهى من فترة الإعداد والاستعداد ويبدأ يعول أبويه الشيخين وأسرته المحتاجة ؟ . . ولماذا . . ولماذا ؟ . فإذا كتم الشاب فى نفسه ما يوسوس به الشيطان له فإنه يقيناً يصاب بالشك .. وقد يشتد أمره ويستفحل خطره .. وإذا اتجه الشاب إلى البحث ولجأ إلى من يساعده ويعاونه .. واستعان بما بحث به غيره .. وماوصل إليه من سبقه .. ووجد أدلة وجود الله واضحة ظاهرة فى كل ما يحيط به ..

وفى كل ماهو حوله .. إذ تشرق الشمس كل يوم فى لحظة محددة لاتتجاوزها وتسلك طريقاً مرسوماً لاتحيد عنه .. وتغرب فى لحظة معينة لاتتعداها .. ويبدأ القمر مولده بقدر معين ويزداد بمقدار متزن ليصبح بدراً فى موعده ثم يتناقص بنسبة محددة ليعود كما كان هلالا فحاقاً .. وما أخلفت الشمس دورتها يوماً .. وما غير القمر دورته مرة على طول المدى من العمر .. أليس هذا مايشاهده كل إنسان بعينه المجردة ؟ . . والأرض التى دائماً تدور سابحة فى الفضاء لاتقع منه .. ولاتهاوى فيه .. ولايمسكها شيء .. دورتها رتيبة .. وحركتها دقيقة .. وحقائقها عجيبة .. والنجوم اللامعات والتى ظلت مدى العصور فى أماكنها من السماء بأعداد رهيبة وأحجام كبيرة وذات سرعات عنيفة .. وما تضاربت .. بل وما تقاربت .. أية قوانين تربطها .. وأية أحكام تحكمها .. وممن هذه القوانين ولمن هذه الأحكام ؟ .. وأية قوى تلك التى استجاب لها هذا الكون بما فيه . والإنسان نفسه .. من خلقه ؟.. إذا كان هو لم يخلق غيره . ؟ ومن رعاه جنيناً فى بطن أمه .. حيث لاماء ولاهواء .. ولاشمس ولاغذاء .. فوفر له ما يشاء وأوجد له البديل عن الهواء والشمس والغذاء .. ويولد الطفل بقدرة خارقة وحكمة بالغة فينساب من الأم لبن يناسبه ويتغير هذا اللبن كمية وتركيزاً طول حياة الطفل بحيث تزداد كميته وتتركز مكوناته كل يوم طالما الطفل يعيش حتى يناسب حاجاته ويعمل على نموه فإذا مات انقطع فجأة وإذا ما وصل إلى الطور الذى يعتمد فيه على الأكل انتهى إدرار اللبن .. فمن أنزل اللبن من الأم ؟ . وغير من تركيزه وكميته كل يوم ..؟

ثم قطعه إذا ما انتهت الحاجة إليه ؟ . . وجسم الإنسان نفسه . . سمعه وبصره . شمه وذوقه .. نومه ويقظته .. حركته وسكونه .. أكله وهضمه .. عظمه وشعره .. بل كل خلية فيه .. وكل عضلة منه .. بل حياته ومماته .. والأرض وما تخرجه من نبات .. تربة واحدة وماء واحد تخرج الحلو والمر والناعم والخشن والأبيض والأسود والجميل والكريه والأملس والشائك .. تخرج الخضر والفاكهة .. والحبوب والبقول .. ملايين الأنواع والأصناف والروائح والطعوم والألوان .. رزقاً للعباد .. من أخرجها وأمر بها ؟.. ومن أعد كل هذه الأنواع والأصناف المختلفة لتلائم كل إنسان .. وتلبي حاجته ؟.. والحيوانات والطيور .. والحشرات والجراثيم .. لكل صنف عالمه الخاص .. ولكل نوع أعاجيبه التي لاتنتهي .. ويجد الأدلة الشافية الكافية لإثبات وجود الله وقدرته إذ ما تدبر وتفكر في النملة .. تلك الكائن الصغير الذي يراه ويتابعه ويدرسه .. هذه النملة ترى .. كيف حال عظامها وأي دقة وإبداع في خلقها .. وماحجم لحمها .. وما قدر دمها .. وأعصابها التي تنتشر في جسمها .. ما قطر العصب بل والكائنات الحية الأخرى التي تعتبر النملة بالنسبة لها شيئاً هائلا ورهيباً .. فهناك كائنات كثيرة وعديدة أصنافها لاتعد ولاتحصى ولاترى بالعين المجردة بل ومنها ما تصعب رؤيته بالمجاهر وآلات التكبير وهناك كائنات أخرى يحس بأثرها ولكن لاترى .. وكل كائن إنما هو عالم قائم بذاته .. فيه الحياة وفيه الموت .. فيه الدليل على وجود الله .. وفيه الأثر الذي يشير إلى عظمة الله .

وإذا تدبر الإنسان حالة الغنى والفقر وبحث وتأمل لوجد أن ما عليه الحياة هو ما تقوم به الحياة .. فإذا كان الناس جميعاً أغنياء فمن يشتغل ومن يوفر أسباب الحياة لهم ؟ . من يزرع ويحصد ؟ . ومن يبيع ويشترى ؟ . ومن يعد الطعام ويهيىء الكساء ؟ . من يخدم العجوز والمريض ؟ . من يغسل الطريق ويطفىء الحريق ؟ . ومن . ومن .. وأما إذا كان الناس جميعاً فقراء فمن يقوم بتسخيرهم ويؤدى أجرهم ؟ . ويموت الشاب فى وقت قد قدر له . . كما يموت الطفل وكما يموت الرجل .. وليس الموت نهاية ليكون من مات قد انعدم وأصابته النهاية .. إن الموت تطور به ينتقل الإنسان من حياة إلى أخرى . ويتحول من حال إلى غيره .. وكل ما يحدث لكل إنسان لايمكن للمرء أن يعرف الحكمة مما يقع إلا إذا عرف سلسلة طويلة لقبل ما وقع.. وأموراً كثيرة لبعد ما يقع ليتأكد ويقتنع ويؤمن بأن ما وقع كان لابد أن يقع وفى الوقت واللحظة ذاتها لامن قبل ولامن بعد . . أدلة كثيرة وشواهد عديدة وحقائق مثيرة وإشارات أكيدة كلها تتجمع لتصرخ فى قوة وعنف وتعلن عن الحقيقة الأولى فى الحياة .. وجود الله وعظمته وحكمته وقدرته ورحمته .

وإذا ما وصل الإنسان فى مغالبة شيطانه إلى ذلك بارزه الشيطان مرة أخرى : إذا كانت هذه كلها أدلة على وجود قوى عظيمة مدبرة رحيمة وهى فعلا كذلك فلماذا لاتكون لعدة آلهة .. فيختص كل إله بجزء مخصص وعمل محدد .. فأى إله من هذه ستتبعه ؟ . . ولايثير ذلك فى نفس أى إنسان له بعض الفكر وأثارة من عقل أية بادرة

من شك .. فطابع كل ما فى الوجود إنما يشير إلى التوحيد .. وحدة الخلق .. وحدة الأصل .. وحدة الوجود .. النظام الواحد .. والتدبير الواحد .. وياترى هل سبق إله غيره فى العمل ؟ . ولماذا لايعلو .. بعضهم على الآخر .. بما يختص به .. ولسبقه فى الوجود .. بل ولماذا لم يظهر أثر لاختلاف بين الآلهة .. فلم تفسد السموات والأرض .. وكلها كما كانت وكما ستظل .. قبضة واحد أحد .. فرد صمد .. لم يلد ولم يولد . ولم يكن له كفواً أحد . .

ولاييأس الشيطان .. بل إنه يعود فى إثارة لشك آخر .. على أى دين تعبد الله ؟. وما الدليل على صحة هذا الدين ؟ . بل ما الدليل على صحة الأديان كلها ؟ . ولماذا لايكون هؤلاء الرسل والنبيون قوماً مجتهدين أرادوا مجداً .. فنادوا بنظام .. واينشروه .. أسندوه إلى الله .؟. وابتغوا عزا فقالوا إنهم أصفياء الله .. وإنهم تحدثوا مع الله .. نادوه .. وأوحى إليهم وبديهى أن الرسل والأنبياء جميعاً ما ادعوا يوماً أنهم أكثر من عباد لله .. ولم يسندوا لأنفسهم أكثر مما لأى بشر .. وعاشوا كما عاش البشر .. بل لعلهم قاسوا أكثر مما قاسى البشر .. وهل دعت الأديان إلى ما فيه غير صالح الإنسان نفسه .. وهل دعت الأديان إلا لعبادة الله وحده .. والإقرار بأن كل الرسل والنبيين إنما هم عباد الله .. كغيرهم والأدلة على صحة الأديان .. ورسالة الرسل والأنبياء .. بين أيدينا .. ومعنا .. فى كل لحظة وحين .. هذا القرآن الكريم .. كتاب .. الله .. لاتنتهى عجائبه ولاتحد وجوه إعجازه .. فى كل آية بل فى كل كلمة إعجاز وأى إعجاز .. فيه أخبار ما قد سبق وفيه أنباء ما قد وقع

فيه ما جعل الأجيال منذ نزوله على اختلافها تؤمن بأنه دليل رسالة محمد صلى الله عليه وسلم وإثبات نبوته .. وأنه دستور أمته .. فهو رسالة الله لعباده من البشر .. وكل من أراد التأكد أن محمداً قد بعث وأنه النبي والرسول وقد أرسل للناس أن يرجع إلى القرآن الكريم ويقرأ فيه ما يقرأ .. فيجد أنه لواجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بآية من مثله لعجزوا وفشلوا .. ولقد ظل القرآن الكريم موضع البحث والدرس عشرات المئات من السنين وكل يوم يمر يضيف إلى إعجاز القرآن الكريم جديداً ويؤكد أنه وحى الله سبحانه وتعالى لخاتم رسله وأنبيائه ولقد أورد القرآن الكريم ما يؤكد بعث عيسى وموسى وإبراهيم ونوح وغيرهم من الرسل والأنبياء صلاة الله وسلامه عليهم أجمعين .. والحمد لله رب العالمين وأعوذ به سبحانه وتعالى من الشيطان الرجيم .. فإن أول وأهم ما يحاوله الشيطان للإنسان أن ينحيه عن الطريق القويم ويخرجه عن الصراط المستقيم .. ويجعله من الكافرين وفى ذلك تقول آيات القرآن الكريم :

(كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىءٌ مِنكَ إِنِّى أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ العَالَمِينَ) .

ولاتقتصر مغالبة الشيطان للإنسان فيما يلقى به إليه من صور الكفر بل أحياناً ما يثير فيه الجدال فى الله فيدفع الإنسان إلى تصوير الله بأى صورة ويسند إليه ما يشاء من تخيلات ويناقش ما يقع ويبدى لها

مايريد . وكل ذلك بدون علم من الإنسان وبغير حق .. فالله سبحانه وتعالى أجل من أى صورة وأبعد من أى تخيل ومن الذنب تصوره أوتخيله على أية صورة .. ومجادلة الإنسان نفسه أوغيره فى هذا إنما يتبع الشيطان الذى يلقى فى نفسه الرغبة فى الجدل وذلك بنص آيات القرآن الكريم :

(وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِى اللهِ بِغَيرِ عِلمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ) .

وأحياناً أخرى يثير الجدال بما يدفع به بعض أوليائه ليجادلوا الناس فيتم انتصار الشيطان على من يتبع جدال غيره من أعوان الشيطان وفى ذلك تقول آيات القرآن الكريم :

(وَإِنَّ الشَّياطِينَ لَيُوحُونَ إِلى أَولِيَائِهِم لِيُجَادِلُوكُم وَإِنْ أَطعتُمُوهُم إِنَّكُم لَمُشرِكُونَ) .

والمحاولات الرتيبة المستمرة التى يبذلها الشيطان دائماً مع الإنسان تتبين واضحة فيما يحاوله من إغرائه ليصرفه عن العبادة أو يؤخره فى أدائها ويجتهد تماماً لينسيه القيام بها أوإثارة المشاغل فى نفسه عند أدائها ليصرفه ما أمكن عن التفرغ لها .. فيبدأ الشيطان منذ اللحظة الأولى التى يحاول الإنسان القيام فيها ليؤدى صلاة الفجر فيزين له النوم ويغريه بالاستمرار فيه ولو لعدة دقائق فما زال الوقت متسعاً ويسمح لفترة أخرى من النوم إلى أن ينام الإنسان وتشرق الشمس .. أما إذا تغلب

الإنسان على الشيطان ولم يصبه النوم عاد إليه ناصحاً بالتأخير لحظات حتى تنكسر حدة البرد .. فالبرد شديد والدفء جميل والدين يسر وإن كان الصيف زين له الانصراف عن القيام بطريقة أوأخرى ولسبب أوغيره . وفى صلاة الظهر يحاول أن يغريه للجمع بين الظهر والعصر .. فالفترة بينهما قصيرة والإنسان هكذا مشغول فى عمله .. وفى صلاة العصر يصور له نفسه المتخمة بالأكل أوالمجهدة من العمل ويدفعه إلى التمهل والتريث لحظة ولحظات حتى تغرب الشمس .. وفى صلاة المغرب يلهيه بمختلف الوسائل وشتى الأسباب وما أيسر أن يشغله عن صلاة المغرب فى وقتها .. أما فى العشاء فيكرر ما بدأه فى الصباح وما استمر عليه فى الأوقات كلها .. محاولات لتأجيلها عن طريق البرد الشديد والإغراء بالنوم ولوفترة ينهض بعدها للصلاة .. وطالما دخل الإنسان الفراش ونام فهيهات أن ينهض بعدها للصلاة .. وكثيراً ما يتغلب الإنسان على هذه المحاولات الساذجة من الشيطان بصرفه عن الصلاة فى وقتها فإذا وجده مصراً عليها محافظاً على أدائها متمسكاً بوقتها فإنه يلجأ إلى حيل أخرى ويعمد إلى وسائل مختلفة ؟ . فعندما يتوضأ يشككه فى وضوئه .. وهل أتمه كما يجب أم يعود للتوضؤ مرة أخرى .. وإذا هم للصلاة بوضوئه أقامها بغير اطمئنان من وضوئه كما أنه يلجأ إلىوسيلة واحدة يحاولها مع كل المصلين فبمجرد إقامة الصلاةيوسوس الشيطان للإنسانبكل مشاكلهويوجههإلىكل متاعبه ويشحن عقله بكل ما يشغله .. وما ذلك إلى ليلهيه عن التفرغ للصلاة .. والاطمئنان فيها .. والتجرد لها .. وإذا هم بإخراج زكاته .. فإنه دائماً

ما يوصيه بالبخل فيها .. وقد يقترح على الإنسان وسائل عجيبة لحبس حق الله فى ماله .. فقد يدفعه إلى الاتفاق مع صاحب له على أن يقدم كل لصاحبه زكاة ماله فيتبادلا حق الله فى مالهما ويكون الإنسان كأنه قد أخرج الزكاة وقدمها لنفسه وبديهى أنه لا يفكر فى ذلك إلا الشيطان وأى شيطان .. وإذا أخرج الإنسان الزكاة لمن حددهم الدين جاهده الشيطان ليخرجها من أسوأ ما عنده ويتفنن فى المغالطة ليدفع أقل ما يجب .. وفى الصوم والحج . بل وفى الاستماع إلى القرآن الكريم إذ يجاهده الشيطان على الإنصات إلى النغم .. وفى التلاوة يحسن له سرعة الأداء حفاظاً على كثرة العدد .. وما ذلك إلا ليصرفه عن التدبر والتفكر والتذكر وعن العظة والعبرة والمعنى .. وهكذا يحاول الشيطان دائماً أن يصد الإنسان عن سبيل الحق ولذلك حرص القرآن الكريم فى آياته الشريفة على تحذير الإنسان من محاولات الشيطان صد الإنسان عن الحق إذ سيحاول ذلك لعدواته الشديدة للإنسان فأمر باللفظ الصريح الواضح بعدم الاستجابة للشيطان فى مثل محاولاته هذه وذلك بالنص الشريف :

(ولا يَصُدَّنَّكُم الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُم عَدُوٌّ مُّبِينٌ) .

ولا شك أن المال هو عصب الحياة وزاد الدنيا وزينتها فهو أمل كل إنسان ووجهة كل الناس يحاولون جاهدين الاستزادة منه .. والاستمتاع به .. والحفاظ عليه .. ولذلك فقد استغل الشيطان فى الإنسان هذا الاتجاه ليخرجه عن الطريق المستقيم ويتجه به إلى طريق الغواية والضلال .. فيأخذ عليه كل سبيل ليغريه بما يزيد من ماله

دون تدبر لما إذا كان من حرام أوحلال .. ودون نظر إلى أن ذلك من مشروع أو غير مشروع .. بل إنه ليزين له طريق الحرام ويبعده عن طريق الحلال .. فما أسهل الحرام وما أيسره وما أكثره .. بل إذا ناقشه الإنسان الأمر فإن هناك من المبررات الكاذبة .. والأساليب الخداعة والأسباب الزائفة مايعرضها الشيطان تباعا لعله يقنع بها الإنسان فينحدر إلى هاوية الحرام .. فالرشوة يزينها الشيطان للإنسان فهي سهلة المنال .. وقد يضلله بأنها هدية .. أوأنها مجرد أتعاب فى مقابل جهد .. فإذا رفض الإنسان ذلك التبرير — لأن الهدية من متعامل مع الإنسان بأى صورة إنما هى رشوة .. وأما تقاضى الأتعاب فيكون علناً وباتفاق ولشخص يمتهن ذلك كمهنة وليست للرجل العام أوالعامل فهى لأى عامل رشوة .. وأى رشوة .. مهما حاول الشيطان تغيير اسمها .. أوهدفها — لجأ إلى وسائل أخرى ليوقعه إلى طريق الحرام .. فقد يغريه بأكل مال اليتيم على أنها مقابل عمله أوقد يتحايل على ذلك بزواج أونسب أو غير ذلك وقد يدفعه إلى أن يأخذ ماليس حقه بطريقة أو أخرى .. وقد يوعز إليه بأن النصب إنما هو ذكاء وقدرة . وأن الاستغلال هو فطنة ومقدرة .. وقد يوجهه إلى ما يحرج به صديقه ليأخذ منه بعض ما عنده .. فكل جرعة ماء أوبلعة غذاء من حرام إنما هى من دعوة الشيطان..واستجابة الإنسان له..ولذلك فإن القرآن الكريم قد كرر الدعوة إلى مغالبة الشيطان فى تلك الدعوة وعدم اتباع خطواته والاكتفاء بالحلال الطيب وذلك بالنص الكريم :

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فى الأَرْضِ حَلالاً طَيِّباً وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُم عَدُوٌّ مُّبِينٌ) .

ومن ضمن وسائل محاولات الشيطان فى إغوائه الإنسان على الكسب الحرام ما يدفعه به إلى المقامرة ولعب الميسر أملا فى ربح حرام سريع كبير .. وبديهى أنه لاميسر بلاخمر فالخمر كذلك من ضمن ما يوسوس به الشيطان للإنسان على أنها من ضمن متع الحياة الدنيا فإذا لم يستجب الإنسان لهذا القول فلا متعة فيما حرم الله .. اتجه به اتجاهاً جديداً . حيث يوسوس له أن القليل من الخمر تعتبر كشفاء أو أنها توسع الشرايين .. أوأنها تنشط الهضم .. أوأنها تدفىء الجسم .. أوأنها تنعش العقل .. أوأنها تزيل الضيق .. وتذهب بالأحزان .. ويظل الشيطان يسرد للإنسان المتناقضات ليبرر له دعوته لتناول الخمر .. فإذا وجد من الإنسان الإيمان بأن الطب قد أجمع على ضررها وأنه ليس فيها أى خير وأنها داء وليست دواء اتجه به إلى طريق آخر .. فيدعوه إلى تجربتها مرة .. ويتركها حين يتبين ضررها .. وإذا ما تناولها الإنسان مرة .. فهيهات أن يمتنع عنها .. ويظل الإنسان يغالب الشيطان ويصارعه فإن الدعوة إلى الخمر والميسر إنما هى من عمل الشيطان وفى ذلك تقول آيات القرآن الكريم :

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الخَمْرُ والمَيْسِرُ والأَنصَابُ والأَزلامُ رِجسٌ من عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجتَنِبُوهُ لَعَلَّكُم تُفلِحُونَ) .

وتشير الدراسات الاجتماعية إلى أن المقامرة على اختلافها وتناول الخمر إنما دائماً وأبدا تثير المنازعات بين الأصدقاء .. وتولد الكراهية

بينهم .. فإن من كسب فى الميسر فإنما يكسب من صديقه أوزميله ولاشك أن ذلك يثير حفيظة الخاسر ويبعث فى نفسه كراهية لمن كسب . فإذا استرد ماخسره .. أثار ذلك غضب من كان قد كسب .. وعلى أى حالة انتهت جولة الميسر فإن المقامرين لابد أن تتغير اتجاهاتهم نحو بعضهم .. وكم أعقب الميسر اعتداءات تتطور كثيراً إلى قتل .. أو تترك فى النفس عداوة لايمحوها إ الاعتداء .. وكذلك الخمر إذ يفقد الإنسان بها قدرته على التحكم فى كلامه .. فتثير دائماً الخلافات والمشاحنات والجدل .. وكثيراً ما تنفض جلسة الخمر بعد أن تنفض الصداقات وتنفصم أواصر المحبة .. بل كثيراً ما يصاحب ذلك العداوة والاعتداء .. وليس كالميسر أو الخمر من وسيلة تعوق الإنسان عن أداء واجباته حتى الأساسية .. فكم ترك الإنسان أكله وشربه .. بل ونومه وعمله أمام مائدة الميسر والخمر .. ولذلك فإن الشيطان قد اتخذ الخمر والميسر وسيلة للإيقاع بين الناس .. ولصرفهم عن ذكر الله والصلاة .. ولقد سبق القرآن الكريم كل الدراسات الحديثة عندما أورد هذه الحقيقة فى النص الشريف :

(إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِى الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ) .

ولعل ما يروى عن الخمر وتأثيرها على الإنسان وما تدفعه إلى ارتكابه من حوادث أكثر من أن يسجل أو يسرد فإن أى جناية إنما تهون

على المخمور .. بل كم من مرة إذا تفكر الإنسان فى ضرر وقع عليه من غيره وأراد أن يترك أمره إلى الله يتولى عنه القصاص ممن ظلمه ومعاقبة من أساء إليه .. حاول الشيطان أن ينفث فيه سمومه ليدفعه أن يأخذ بيده حقه أو يرد الظلم بالاعتداء فإذا وجد الشيطان من الإنسان العقل والحكمة والإيمان بأن فوض أمره إلى الله راضيا بالقضاء وطالباً أن يتولى الله سبحانه وتعالى عنه الجزاء فإن الشيطان يحاول معه محاولة أخرى إذ يدفعه إلى كأس من الخمر فإن كأس الخمر هى مفتاح الشر كل الشر وأى شر .. فاذا ما تناولها انفتح للإنسان طريق الشر .. ويؤيد ذلك ما يروى من أن الشيطان دفع بامرأة فى طريق رجل صالح ليغويه بها عن الطريق المستقيم فأبى ، فوسوس له ليسرق ويستزيد من ماله فرفض ثم أتى برجل مشاكس كيثيره وزين له قتله جزاء تعرضه له وإهانته إياه فلما استعصى على الشيطان ولم يستجب الرجل لكل غواياته دفعه إلى كأس من الخمر كمحاولة للتهدئة أو النسيان ، فما إن شرب الخمر حتى بحث عن المرأة ثم سرق مالها ولقى رجلا ببابها فخاف منه على نفسه فبادر بقتله وهكذا ارتكب الرجل كل الآثام والذنوب بسبب الخمر ..

ولاتقتصر محاولات الشيطان فى إثارة الإنسان ضد أخيه على الخمر والميسر .. فإن من أهم مايهدف إليه الشيطان هو إيقاع العداوة والبغضاء بين الناس وإشاعة الفرقة والكراهية بين الخلق فكل محاولة يستشعرها الإنسان للكيد من أخيه إنما هى من وسوسة الشيطان .. والإنسان خطّاءٌ بطبعه .. مندفع بحماسته .. سريع الاستجابة لما فيه الشر..

يرغب من الناس أن يتسامحوا معه إذا أخطأ معهم .. فكما يطلب الإنسان من أخيه أن يتسامح معه فيما يكون قد وقع منه فلابد أن يتسامح هو فيما يكون قد وقع عليه من صاحبه .. ولكن الشيطان يدفع الإنسان دفعاً إلى محاولة النيل من صديقه المخطىء فيثير فيه باطل الأحاسيس حتى يدفعه إلى عدوان على أخيه . . وإذا لم يقع من صاحبه عليه فإنه يحاول إثارته عليه بما فضله الله به عليه .. ويظل يوسوس له : ألم تر صاحبك أنه أكثر منك مالا وأعز ولداً .. وأنه يفضلك قدرة ويتفوق عليك قوة ويزيد عنك قدراً .. ألم تر أنه لذلك يتعالى عليك ويتعاجب بنفسه .. ألم تر أن تحيته لك إنما على سبيل التهكم والسخرية .. وسؤاله عنك إنما من سبيل التفضل والإحسان . . وهكذا تتولد فى نفس الإنسان الرغبة فى الكيد لصاحبه بل قد يقع الكيد من الأخ لأخيه وما ذلك الا بفعل الشيطان كما وقع لسيدنا يوسف من إخوته بنص آيات القرآن الكريم التى تقول :

(إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً وَالشَّمْسَ وَالقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَاجِدِينَ . قَالَ يَا بُنَىَّ لاتَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ للإِنسَانِ عَدُوٌّ مبِينٌ) .

(وَرَفَعَ أَبَوَيهِ عَلَى العَرشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤيَاىَ مِن قَبلُ قَد

جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا وَقَد أَحْسَنَ بِى إِذْ أَخرَجَنِى مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم مِّنَ البَدْوِ مِن بَعدِ أَن نزَغَ الشَّيْطَانُ بَينِى وَبَينَ إِخوَتِى إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ العَلِيمُ الْحَكِيمُ) .

ومن أخطر ما يصيب الإنسان بفعل الشيطان هو ما يحاوله دائماً من إثارة غضبه فيدفعه إليه دفعاً متواصلا كأنه قد ركبه وينخسه نخساً شديداً ليوجهه حيث شاء وحيث يطفح به الغضب وقد أورد القرآن االكريم النص الذى يشير إلى هذه الحقيقة باللفظ الذى لايؤدى غيره المعنى الفعلى الصحيح إذ تقول الآية الكريمة :

(وَقُل لِعبَادِى يَقُولُوا الَّتِى هِى أَحسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُم إِنَّ الشَّيطَانَ كَانَ للإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا) .

ولو أمكن للإنسان فى حالة غضبه أن يرى وجهه وكيف انقلب وشكله وكيف تغير لآمن تماماً أن الشيطان قد تولاه وأن ما يظهر عليه إنما هو أقرب إلى الشيطان من الإنسان فالعيون البارزة المحتقنة والشرر يتطاير منها .. والعرق الذى يتصبب مهما كان الجو شتاء وبارداً . . والشعر وقد وقف فى فزع وانزعاج والعروق وهى تضرب فى نفور وقسوة .. والقلب يدق فى لهفة وسرعة .. واللسان يخطىء

والحلق قد جف .. والجسم يرتجف بأجمعه والنفس تنادى بالعدوان والاعتداء وتشتاق إلى رؤية الدم .. ولو عرف الإنسان ما أثر الغضب عليه .. وما تسببه الرغبة الجامحة فى تبادل العدوان نتيجة الغضب لأيقن تماماً بأن الغضب يؤذى النفس أكثر مما يؤذيها أى اعتداء وقع ونتج بسببه الغضب .. إن الغضب يرفع الدم إلى أبعد حالاته وإلى أرفع مستوياته .. وإنه من أهم وأخطر أسباب اضطرابات القلب .. بل قرحة المعدة تعتبر النتيجة الأكيدة والعلامة المميزة لثورة الغضب التى تمتلك الإنسان . .

ولا يهدف الشيطان بدفع الإنسان إلى الغضب إلا إلى الإضرار .. الإضرار بالإنسان نفسه والإضرار بغيره .. وهكذا يحاول الشيطان مع الإنسان أن يثير فيه الكيد والبغضاء والكراهية والغضب وما ذلك إلا ليقتل الإنسان أخاه وما وقعت جريمة قتل إلا والشيطان هو الدافع إليها والمحرض لها بل إن من الأنبياء من تمكن الشيطان من دفعه إلى قتل غيره كما يقرر القرآن الكريم أن نبى الله موسى قتل من استغاث منه الذى من شيعته وما كان ذلك إلا بفعل الشيطان حيث تقول الآيات الشريفة :

(وَدَخَلَ المدينَةَ عَلى حِينِ غَفلَةٍ مِّن أَهلِهَا فَوَجَدَ فيهَا رَجُلَين يَقتَتِلان هَذَا مِن شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاستَغَاثَهُ الَّذى مِن شِيعَتِهِ عَلى الَّذِى مِنْ

عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ) .

ولاتعتبر وسوسة الشيطان للإنسان لقتل غيره عجباً كما تعتبر وسوسته له لقتل نفسه .. فالمشاهد لكل إنسان أنه كثيراً ما تمر به لحظات يجد دافعاً قوياً له ليقتل نفسه ويستمع نداء خفيا يدعوه بالحاح لأن يزهق نفسه بل كثيراً ما اقترب الإنسان من نافذة عالية فإذ به يحس بقوة خارجةعن إرادته تدفعه دفعاً قوياً لأن يلقى بنفسه من النافذة .. أويمسك بسلاح فإذا به يوجهه مرغماً إلى نفسه وكأنه قد قرر قتل نفسه .. ويحتار الإنسان فى تكييف هذا الموقف .. وتعليل السبب .. إنه الشيطان الذى يحاول محاولة جادة مستمرة يائسة فى دعوة متصلة للإنسان لأن يقتل نفسه . . ولوعاد المنتحر لحياته وسئل لماذا وكيف انتحر ؟. ما استطاع أن يجيب على السؤال .. بأكثر من أنه استجاب لرغبة داخلية واستمع لدعوة لا يعرف مصدرها ولم يستطع لحظة الانتحار أن يقاوم هذه الرغبة أوينصرف عن هذه الدعوة .. ويتفق العلماء على أن المنتحر لحظة انتحاره إنما يصاب بجنون .. وهذا الجنون يجعله يفقد القدرة على التمييز بين الخطأ والصواب .. فيكون بذلك فى خضوع تام واستسلام كامل لدفعة الشيطان له .. لأنه إذا لم تكن للشيطان سيطرة عليه فلماذا اتجه بنفسه إلى هلاكها .. ولم يتجه برغبته إلى الحفاظ عليها . ؟ . ولقد أثبتت الدراسات العلمية والتجارب العملية الطبية أن الشيطان فى محاولات مستمرة لكل إنسان يدفعه فيها

لقتل نفسه .. ويقول الدكتور بيتر شتا نيكرون العالم البشرى والنفسانى فى كتابه (لاتقتل نفسك) : « إننا نحمل فى طوايانا بذرة هلاكنا لأننا ميالون إلى القضاءعلى أنفسنا .. ويقرر فرويد أن كل إنسان من البشر بلااستثناء لديه دافع إلى إعدام نفسه ولكن ذلك الدافع يختلف فى مقداره وقوته باختلاف الأشخاص . فالواقع أن النفس البشرية لغز مستعص على الحل . فبينما ترى الإنسان يتشبث بالحياة بكل ما يملك من قوة وإصرار وبكل ما فى أصابعه وراحتيه من عزم وبأس إذا برسالة غامضة من نقطة خفية تصل إلى هذه الأصابع أن أطلقى ما تتعلقين به واستسلمى لأعماق الهاوية المظلمة التى تفغر فاها . والواقع انه لايخلو أى إنسان منا من دافع إلى هلاك نفسه والقضاء عليها وإن كان ذلك أمرا صعب التصديق لأول وهلة . ويتخذ هذا الدافع صوراً متعددة فهو فى بعض الأشخاص قوة جارفة وفى بعضهم الآخر ميل ضعيف جداً إلى درجة الوهن والخمود إنه كالبركان القاتم .. ولنضرب مثلا يساعد على توضيح ذلك فنفرض أنك تطل من نافذة فندق فى طابق مرتفع جداً فتتراءى لك السيارات والناس فى الشوارع من تحتك كأنهم قطعان من النمل وتشعر بالدوار والفزع لذلك العلو فتتشبث بجوانب النافذة ولا تطل إلا بحذر شديد فلماذا هــذا التشبث والحذر ؟ . ليس معنى هــذا طبعاً أن الغرفة قد مالت تحت قدميك أوأنك أصبحت فى غير مأمن فعلا بل إنك تفعل ذلك لأنك أحسست فى أعماقك بقوة ما تشبه كثيراً قوة الجاذبية تجذبك إلى خارج النافذة وهى تلح عليك فى القفز منها فتتشبث أنت بالنجاة . ومن الناس نفر لايفهمون هذا الإحساس ولكن هناك فريقاً

أكبر يحسون ذلك الإحساس بشكل حاد جداً ومنهم من لا يأتمنون أنفسهم حتى ولو على النظرة الأولى .. وأعرف أشخاصاً لا يقبلون المبيت فى طابق أعلى من الثالث مهما كانت الظروف ويتعللون لذلك بأنهم ربما مشوا فى نومهم ففتحوا النافذة وقفزوا منها .. وهناك نفر قد يقبلون المبيت ولكنهم لا يجسرون على النوم والنوافذ مفتوحة مهما كانت شدة الحر .. وتطبق هذه الأعراض على من يتناولون السكاكين فيحاول نفر طعن أنفسهم بها ومن الخير لك أن تعرف مضمون هذه الحقيقة حتى تتسع أمامك الفرص لتعطيل عملية قتل نفسك بنفسك ولو لشلها شلا تاماً إن أمكن وهذا هو الدكتور توماس سلمون رئيس اتحاد التحليل النفسى السابق فى أمريكا يقول لا شك أنه قد خطرت لكل واحد منا فى وقت ما من حياته فكرة الانتحار على اختلاف فى درجات العنف والضعف » .

وهكذا يحاول الشيطان جاهداً أن يدفع الإنسان إلى قتل غيره أو إثارته حتى يقتل نفسه وفى محاولات الشيطان إيذاء الإنسان لا يقتصر عمله على دفعه إلى الانتحار أو قتل غيره .. وإنما يحاول أن يثير فيه مختلف الأحاسيس والشعور حتى يفسد عليه حياته .. ومن أهم وسائل ذلك ما يبثه فى نفس الإنسان من مخاوف كاذبة وعديدة ومختلفة الأشكال ومتباينة الصور ومتفاوتة الدرجات .. والفارق بين المخاوف الطبيعية وبين تلك التى يثيرها الشيطان جد واسعة وواضحة .. فالخوف صفة طبيعية يحافظ بها الإنسان على حياته .. فالإنسان لابد يخاف النار .. حتى لا يحترق .. ولابد يخشى البحر حتى لا يغرق .. ولكن إذا ما تمكن

الشيطان من الإنسان فضاعف من المخاوف ورفع حدها وغير من حقيقتها فإنها بذلك تصبح وسائل لتدمير الإنسان . . وما يصل الإنسان إلى هذا الحد إلا إذا استجاب لوسوسة الشيطان .. كأن يخاف الماء وهو فى الكوبة عندما يشرب . . أويخشى نار السيجارة وهى مشتعلة فترتعد فرائصه لرؤيتها .. والمخاوف التى يثيرها الشيطان فى نفس الإنسان لاتقف عند حد .. وتتضح تماماً عندما ينحرف مزاج الإنسان أويصيبه التعب أوتقع به نازلة وذلك يؤكد أنه فى هذه الحالة يكون انتصار الشيطان على الإنسان أسهل وأيسر وأوقع .. فيقع مالابد منه .. إذ يخاف الإنسان ويدخل فى حلقة كريهة مدمرة من مخاوف لانهاية لها وفى الحقيقة لاأصل لها .. فالإنسان يعمل جاهداً فى الحياة حتى يوفر لنفسه ولمن يعول وسائل المعيشة ويحاول قدر الاستطاعة ادخار ما يمكنه خوفاً من الفقر .. فكل إنسان يخاف الفقر ولذلك فإنه يعمل ولكن إذا دخل الشيطان من باب الخوف من الفقر فإنه يصور للإنسان تصورات مؤلمة وبالرغم من أن الإنسان يجد نفسه يتقدم فى عمله ويخلص فى أدائه وقد أحيط بضمانات كاملة لتوفير عيشه ومن يعول وشأنه فى ذلك شأن غيره تجده قد خاف من الفقر خوفاً يجعله لايمكن أن يستسيغ الحياة بما فيها .. فهو دائم الشكوى دائم الاضطراب ..يتخيل ولده قد جاع .. وزوجته مرضت .. ووالده يسأل .. وأمه تحتاج.. ويظل فى الضياع من هذه الصور فلا يستطيع أن يعمل .. ويفسد ذلك التصور عمله فعلا .. ويشتد توقعه للفقر . . ويخاف أن يفصل من عمله .. ويخاف من الجوع ومن الحرمان .

ولاشك أن كل إنسان يخاف المرض .. ولكن إلى حدما .. فهو لذلك يحرص على نظافة مأكله ومشربه والاعتدال فى كل حاجياته طلباً للصحة .. ولكن إذا وسوس له الشيطان .. ونفخ فى مخاوفه من المرض .. فلا يصافح إنساناً خوفاً من العدوى .. ولا يشرب من كوب إلا بعد أن يعقمه .. ولا يبادل غيره الزيارة .. ويغسل يديه عدة مرات كل ساعة .. ويصاب بهلوسة شديدة .. وانزعاج رهيب.. إذا ارتفعت حرارته ارتفاعاً بسيطاً .. فموجة البرد تصيبه كما تصيب الجميع .. يصيبه الذعر .. ولايعتقد أن هذه الدرجة التى ارتفعت إنما هى علامة مميزة لعلة طارئة .. فلم يصاحبها عرض آخر .. بل يتخيل أنها بداية أخبث الأمراض وأشدها .. فيترقب الصراع .. وكثيراً ما يصيبه حيث يترقبه .. ويتحسس أى مكان فى جسمه ليرى هل هناك أورام بدأت .. وقد يحس بها فعلا .. عن طريق الوهم .. وقد تكون حقيقية فى مكان من الجسم طبيعية لم يلحظها من قبل .. وقد تكون نتيجة كدم أوالتهاب .. ولكنه يؤمن أنها أخبث الأمراض وقد أصابته .. وقد يخاف من مرض فى معدته .. أعراضه القىء .. فيصاب به فعلا.. والألم فى مكان منها..فيحس به .. يقيناً.. وفى الحقيقة أنه الخوف صور له .. والوهم جسد له المرض .. والخوف من الغير .. والخوف من كل شىء .. ولقد كان الخوف من أهم ما تناولته الدراسات النفسية والطبية ووضع موضع البحث العلمى فيقول الدكتور لبمان عن الخوف « كل إنسان طبيعى يعانى مخاوف لاتحصى ولكن قد تتنكر مخاوفنا فتظهر فى صورة خوف من الأماكن المرتفعة أوالغرف

الضيقة .. إنه لصحيح أن الإنسان أوتى نعمة القدرة على معرفة الخوف فإن الخوف كثيراً ما يكون الباعث على النمو والحافز إلى الاختراع ثم إن الخوف الذى يشعر به الإنسان عند الخطر الحقيقى مرغوب فيه ولكن معظم مخاوفنا لاأساس لها .. فنحن أحياناً نخشى على صحتنا ونقلق على قلوبنا ورئاتنا وضغط دمنا وأرقنا فنتحسس نبضنا لنهتدى إلى دليل على المرض فى كل عرض برىء أولامعنى له ، أو يعترينا التملق على شخصيتنا ونشعر بالتزعزع وعدم الثبات ونحزن على ما نحن فيه . ونتوهم أن الغير يحتقروننا أولا يرضون عنا . . وما أكثر ما كتب من مقالات وتوجيهات وعجالات ومطبوعات ومراجع وكلها تهدف إلى تحذير الإنسان من الخوف الذى يبثه الشيطان فى نفس الإنسان من غيره .. ومن نفسه .. ومن أى ظروف تحيطه .. وقد سبق القرآن الكريم إلى إيراد هذه الحقيقة الهامة حيث قرر أن الخوف إنما يثيره الشيطان ولايستجيب له إلا من تولاه وذلك بالنص الشريف :

(إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلاَتَخَافُوهُمْ وخَافُونِ إِنْ كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ) .

ولخطورة وسوسة الجن على الإنسان فإن القرآن الكريم قد قدم وسوسة الجن على وسوسة الناس وذلك فى النص الشريف :

(الَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ النَّاسِ . مِنَ الجِنَّةِ وَالنَّاسِ) .

وتتعدد وسائل الشيطان لتثير فى نفس الناس الأسف والخوف .
ومن ضمن هذه الوسائل مايدفع به الشيطان الإنسان لأن يتسار مع أخيه فيميل عليه ويهمس إليه فى جلسة عامة تضم غيرهما مما يجد الجالسون معهما فى نفوسهم حرجاً وأى حرج ويخلق فيهم ضيقاً ويسبب لهم قلقاً وأسفاً .. وبهذا فإن النجوى من الشيطان وهذا ما قرره القرآن الكريم فى آياته الشريفة فى مثل النص الكريم :

(إِنَّما النَّجوى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحزُنَ الَّذِين آمنُوا ولَيس بِضَارِّهِم شَيئاً إِلَّا بِإِذنِ اللهِ وعلى اللهِ فَليتَوكَّل المُؤمنُونَ) .

وإذا ما حاول الإنسان أن يمتحن مايوسوس به الشيطان فإنه يجده لايوسوس بخير وإنما دائماً يهتف بالشر ويبذل جهد الاستطاعة وأقصى الطاقة ليوجه الإنسان إلىالشر والمنكر .. فهو يزين له طريق الغواية ويدفعه إلى كل طريق فيه الإثم والمعصية وقد تكرر فى القرآن الكريم أن الشيطان إنما يأمر بالفحشاء والمنكر وذلك فى مثل النص الكريم :

(ياأَيُّهَا الَّذين آمنُوا لاتَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ ومن يَتَّبِع خُطُواتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يأْمُرُ بِالفَحْشَاءِ والمُنكَر) .

(الشَّيْطَانُ يعدُكُم الفَقَر ويأْمُرُكُم بالفَحْشَاءِ والله يعِدُكُم مَّغفِرةً مِنهُ وفَضْلاً واللهُ واسِعٌ عليمٌ) .

وإذا ما تعرض الإنسان إلى ما يجب معه الرجوع إلى حكم فيه فكثيراً ما يحاول الشيطان أن يصرفه عن الحكم الصادق السليم حسبما جاء فيما أنزل الله ويضلله بأحكام جائرة وضعها ظلمة أوفسقة ابتغاء نفع دنيوى ومصلحة عارضة غير مستهدفين الحق أوالصدق أوالعدل وفى ذلك تقول آيات القرآن الكريم :

(أَلَم تَرَ إلى الَّذين يزعُمُونَ أَنَّهُمْ آمنُوا بِما أُنزِل إليكَ ومَا أُنزِلَ مِن قَبلِكَ يُريدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إلى الطَّاغُوتِ وَقَد أُمِرُوا أَن يَكفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُم ضَلالاً بَعيدًا) .

وإمعاناً فى ضلال الإنسان فإن الشيطان لايترك له فرصة لأن يسترجع فيها نفسه ويُقيِّم فيها عمله ليرى فى أى طريق يمشى وأىّ اتجاه يسلك وإلى أى غاية يتجه. فإن الإنسان لاشك إذا ما تمعن فيما يوسوس به الشيطان ويستوعب اعتراضه ويقف على أهدافه ويفحص النتائج ويقدر العواقب فإنه لاشك يعصى الشيطان تماماً ويخالف الاتجاه الذى يدفعه إليه مخالفة تامة ولكنه لايترك له هذه الفرصة إذ يظل يزين له عمله ويحسن له من فعله حتى يختلط على الإنسان الأمر بل ويرى فيما يوسوس به الشيطان وكأنه الخير وفى ذلك تقول آيات القرآن الكريم :

(إِنِّي وَجَدتُ امرأَةً تَملِكُهُم وَأُوتِيَت مِن كُلِّ شَيءٍ وَلَهَا عَرشٌ عَظِيمٌ . وَجَدتُهَا وَقَومَهَا يَسجُدُونَ لِلشَّمسِ مِن دُونِ اللهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيطَانُ أَعمَالَهُم فَصَدَّهُم عَنِ السَّبِيلِ فَهُم لايَهتَدُونَ).

كما أنه يحاول أن يصرف الإنسان بطرق مختلفة ومحاولات شتى عن التضرع لله فإن الإنسان فى حياته لايسلم من شدة تصيبه ولايجد ملجأ إلا الله يتجه ويتضرع سائلا إياه أن يخفف عنه مصابه وأن يمنحه من القوة والصبر ما يجعله يتحمل قسوتها ويتغلب على شدتها وما من شك أن كل إنسان قد مارس فى تجربة عملية بنفسه كيف أن التضرع لله سبحانه وتعالى هو أول خطوة من خطوات التغلب على كل الصعاب إذ بمجرد أن يتوجه الإنسان بقلبه إلى الله ويدعوه ويحس بأنه يقف بين يديه يناديه ويدعوه ويتوسل إليه ويتضرع سائلا العون يجد السكينة بدأت تخامره وكذلك الصبر والقوة .. وإن الضراعة لله جل شأنه تؤثر على الإنسان وتزيل من حدة مصابه فهى دعاء إلى الله أن يزيل المحنة ويكشف الغمة أيا كان قدرها على الإنسان ومهما تخيلها .. ولاشك ليس غير الله سبحانه وتعالى هو القادر على كل شىء وهى وسيلة بها تنزل السكينة فى النفس وتحس بالأمان وقد أثبتت الدراسات العلمية أن التضرع لله فيه الشفاء كل الشفاء من كل ما يصيب الإنسان عضوياً ونفسياً فيقول وليم جيمس أستاذ الفلسفة (إن أمواج المحيط المصطخبة المقلبة لاتعكر قط هدوء القاع العميق ولاتقلق أمنه ..

وكذلك المرء الذى عمق إيمانه بالله ، خليق بألا تعكر طمأنينته التقلبات السطحية المؤقتة ، فالرجل المتدين حقاً عصى على القلق محتفظ أبدا باتزانه ، مستعد دائماً لمواجهة ماعسى أن تأتى به الأيام من صروف) .

ويقول ديل كارنيجى (لماذا لانتجه إلى الله إذا استشعرنا القلق ؟ ولماذا لانؤمن بالله ونحن فى أشد الحاجة إلى هذا الإيمان ؟ ولماذا لانربط أنفسنا بالقوة العظمى المهيمنة على هذا الكون ؟ ولايبعد بك عن الصلاة والضراعة والابتهال أنك لست متديناً بطبعك أوبحكم نشأتك وثق أن الصلاة والضراعة سوف تسدى إليك عوناً أكبر مما تقدر لأنها شىء عملى فعال) ويقول الدكتور الكسيس كاريل الحائز على جائزة نوبل فى الطب رالجراحة (لعل الصلاة هى أعظم طاقة مولدة للنشاط عرفت ليومنا هذا . وقد رأيت بوصفى طبيباً كثيراً من المرضى فشلت العقاقير فى علاجهم فلما رفع الطب يديه عجزاً وتسليماً تدخلت الصلاة فأبرأتهم من عللهم .. إن الصلاة كمعدن الراديوم مصدر للإشعاع ومولد ذاتى للنشاط وبالصلاة يسعى الناس إلى استزادة نشاطهم المحدود حين يخاطبون القوة التى تهيمن على الكون ويسألونها ضارعين أن تمنحهم قبساً منها يستعينون به على معاناة الحياة بل إن الضراعة وحدها كفيلة بأن تزيد قوتنا ونشاطنا ولن تجد أحداً تضرع إلى الله مرة إلا عادت عليه الضراعة بأحسن النتائج) .

ولذلك فإن الشيطان حتى يحول بين الإنسان وإنهاء أسباب حزنه وقلقه وحتى يدفعه إلى الاستمرار فيما أصابه وحتى لايمنحه فرصة اتخاذ

وسائل إزالة مصائبه والشفاء من نتائجها فإنه يصرفه عن التضرع إلى الله وما من إنسان نزلت به ملمة أوأصابه اليأس ولم يتضرع إلى الله فوراً إلا كان ذلك بفعل الشيطان .. وفى ذلك تقول آيات القرآن الكريم :

(وَلَقَد أَرْسَلنَا إِلى أُمَمٍ من قَبلك فَأَخَذْنَاهُم بِالبَأسَاءِ والضَّرَّاءِ لَعَلَّهم يَتَضَرَّعُونَ . فَلَولا إِذ جَاءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكن قَستْ قُلُوبُهُم وَزَيَّنَ لَهُم الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعمَلُونَ) .

ومن ضمن المحاولات المستمرة التى يحاولها الشيطان مع الإنسان ليصرفه عن الطريق القويم ويجعله مستحقاً للعقاب والعذاب .. إلقاء النسيان عليه .. فيجعله ينسى ما لابد أن يقوم به .. فالإنسان إذا وجد قومه الذين يجلس إليهم يخوضون فى آيات الله وجب عليه أن يبتعد عنهم حتى يعودوا إلى حديث غيره .. وكثيراً ما يتدخل الشيطان لينسى الإنسان ما يجب عليه .. وإذ به فجأة يتغلب على شيطانه .. وبالتالى على نسيانه .. فلا بد أن ينهض مستنفراً .. وفى ذلك تقول آيات القرآن الكريم :

(وَإِذَا رَأَيتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فى آيَاتِنَا فَأَعرِضْ عَنهُم حَتَّى يَخُوضُوا فى حَدِيثٍ غَيرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلا تَقعُد بَعدَ الذِكرَى مَعَ القَومِ الظَّالِمِينَ)

وأشد النسيان وأفظعه .. وأكثره إثماً .. وأبعثه أسفاً وأوخمه عاقبة .. والتي دائماً وأبداً يحاوله الشيطان مع الإنسان هو نسيان الإنسان ذكر الله .. فالإنسان ينهض من نومه وهو يعلم تماماً أنه كان بنومه مع الموتى والله وحده أعلم أين كانت روحه طوال ليله وما كان أيسر من أن تنطلق فلا تعود .. وشاء الله وحده وأعاد الروح مرة أخرى لينهض الإنسان سليماً معافى ولا بد لذلك من أن يذكر الإنسان صاحب الفضل عليه فيشكر الله ويحمده .. ويغتسل ويتوضأ ويتحرك ويصلي ولابد من أن يذكر الله على ما أنعم به عليه من نعمة الصحة والحركة فكم من عليل يتوق إلى مثل هذه الحركة فلا يستطيع .. ويجد الإنسان طعام إفطاره فيتناوله وينزل في طريقه الصحيح ويبدأ الهضم علامة أكيدة على وفرة الطعام وجودة الصحة ولذلك فإنه يجب على الإنسان أن يذكر الله قبل الطعام ويحمده بعده .. ويغادر منزله ولايعرف إلا الله إن كان سيعود أم هذه آخر مرة يرى فيها منزله بعينه .. فوجب عليه أن يذكر الله ويستغفره .. ويظل في عمله .. إن وفق فهي إرادة الله التي لابد من شكرها وحمدها وإن لم .. فهو تقدير الله .. لدفع أذى محتمل .. وقضاء لا بد أن يتم ولابد من حمد الله وشكره على ذلك . فإذا تدبر الإنسان نفسه وحاله وجد أنه لابد أن يشكر الله ويحمده كل طرفة عين وانتباهتها .. فما يحركها إلا الله وما يحفظها إلا الله .. وفي كل لحظة وفي كل نظرة يجد الإنسان آيات الله واضحة باهرة .. صريحة .. صارخة : الشمس .. الأرض .. القمر .. النجوم .. الهواء .. الزرع .. الماء .. الطير .. الحيوان كلها تنادي على الإنسان ليذكر بها الله ..

فالإنسان لايستعمل عينه الاستعمال الكامل والمطلوب ولم يحقق الهدف الأسمى لهذه النعمة التى أنعم الله عليه بها .. نعمة البصر .. فكل نظرة إلى أى شىء حول الإنسان يجب أن تقوده إلى الحقيقة الأولى والكبرى فى هذا الكون .. إن للوجود رباً .. خلق فقدر .. وشاء فكانت مشيئته.. لذلك وجب الوصول عن طريق النظر إلى الإيمان بوجود الله ووحدانيته وقدرته وعظمته وقد قرر القرآن الكريم أن من الكفر عدم ذكر الله بالعين وذلك بنص الآيات الشريفة :

(وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَومَئِذٍ لِلكَافِرِينَ عَرضاً . الَّذِينَ كَانَت أَعيُنُهُم فى غِطَاءٍ عَن ذِكرِى وَكَانُوا لايَسْتَطِيعُونَ سَمعاً) .

وهكذا يجب على الإنسان أن يذكر الله بلسانه .. وبعينه .. وبقلبه .. وبوجدانه .. وأن يحمده ويشكره وأن يظل على ذكر الله طوال يومه وليلته .. إن نام فعلى ترديد اسم الله .. وإن نهض فعلى حمد الله .. وطوال ساعات يقظته لايغادر الذكر قلبه ولا عقله ولاوجدانه .. إنه مع الحياة بجسمه .. ومع الله بقلبه وبهذا يفوز العبد بمغفرة وأجر عظيم ، وذلك بنص الآيات الشريفة :

(وَالذَّاكِرِينَ اللهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللهُ لَهُم مَّغفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيماً) .

ولعل حقيقة قدر ذكر الله تتضح من الآية الكريمة :

(اتلُ مَا أُوحِيَ إِليكَ مِنَ الكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلاةَ، إِنَّ الصَّلاةَ تَنهَى عَنِ الفَحْشَاءِ وَالمُنكَرِ وَلَذِكرُ اللهِ أَكبَرُ وَاللهُ يَعلَمُ مَا تَصنَعُونَ)

ولذلك فإن الشيطان يحاول جاهداً أن ينسى الإنسان ذكر الله ولا ينجح فى ذلك إلا إذا استحوذ على الإنسان فإذا تمكن منه فقد خسر الإنسان دنياه وآخرته وفى ذلك تقول آيات القرآن الكريم :

(استَحوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُم ذِكْرَ اللهِ أُولئِكَ حِزبُ الشَّيْطَانِ أَلا إِنَّ حِزبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الخَاسِرون)

وكل رغبة تتولد فى الإنسان للانحراف به عن طريق الطاعة لله سبحانه وتعالى وتسليم وجهه له عز شأنه تماماً وكاملا إنما هى دفعة من الشيطان للإنسان ومحاولة منه حتى يحول بينه وبين طريق الهداية والطاعة .. فإذا اتجه الإنسان إلى غير الطريق المستقيم كان من السهل على الشيطان أن يتولاه إلى هاوية الضلال وسوء العاقبة وبئس المصير .. فعندما ترى إنساناً يسير فى الطريق وقد انتفخت أوداجه وشمخ برأسه وقوس صدره إلى الأمام ليختال بنفسه ويتعاجب بهيئته ويتعالى على غيره .. فاعلم أن الشيطان يغالبه ويكاد أن يغلبه .. فإن هذه هى طبيعة الشيطان .. الكبر والاستهتار والغرور .. وأما الإنسان فلماذا يتعالى على غيره .. وهو وغيره من أصل واحد .. وذرية أم واحدة وأب واحد ؟ ـ

ولماذا يتعاجب بهيئته وهو من تراب .؟ ولماذا يعتز بجسده وهو يعلم ما بداخله من أحشاء .. ويعلم ما بداخل هذه الأحشاء من نفايات وفضلات ؟ ولماذا يختال بنفسه وهو إلى مصيره المحتوم .. فشبابه إلى نهاية .. وقدرته وقوته إلى فناء . وهو إلى موت سيحين ولكل إنسان وقته المعلوم .. ولذلك فإن القرآن الكريم قد وصف ما يجب أن يكون عليه الإنسان فى مثل الآيات الشريفة :

(وَلاتُصَعِّر خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلا تَمْشِ فى الأَرْضِ مَرَحاً إِنَّ اللهَ لايُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُور) .

(وَلاتَمشِ فى الأَرضِ مَرَحاً إِنَّكَ لَن تَخرِقَ الأَرضَ وَلَن تَبلُغَ الجِبَالَ طُولاً) .

وعندما يتجه الإنسان إلى غيره يسأله ما يجب أن يسأل الله به ويعتقد أن قضاء الحاجات بيد غير الله ويشرك فى حكم الله ما هو دون الله فإن الشيطان إنما يقوده إلى طريقه ويدفعه إلى الاقتداء به وعندما يتجه الإنسان إلى أى طريق من طرق الفساد إنما لايكون فى طاعة الله والتسليم له إذ لم يستجب لقول الله سبحانه وتعالى فى الآيات الشريفة مثل :

(وَابتَغ فِيمَا آتَاكَ اللهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلاتَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحسِنْ كَمَا أَحسَنَ اللهُ إِليكَ وَلا تَبغِ الفَسَادَ فى الأَرض إِنَّ اللهَ لايُحِبُّ المُفسِدينَ)

ولذلك فإن الله سبحانه وتعالى قد أمر الإنسان بأن يدخل فى طاعة الله طاعة كاملة وأن يكون تسليمه له تسليماً تاماً وفيا عدا ذلك فإن الإنسان يكون قد اتبع خطوات الشيطان وذلك فى النص الشريف :

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِى السِّلْمِ كَافَّةً وَلاتَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ) .

وتستمر محاولات الشيطان مع الإنسان فى صورها المختلفة وأشكالها المتباينة وكلها تهدف فى جدية وإصرار إلى تحويل خط سير الإنسان إلى جهة المعصية ما أمكن للشيطان ذلك وهو فى ذلك إنما يتعمد الإضرار بالإنسان باجتذابه إليه فى طريقه ليكون معه فى عذاب الآخرة .. وقد يكون السبب فى محاولات الشيطان باطل اعتقاده أن مشاركة الإنسان له فى عذابه إنما فيه تخفيف عليه .. إذ أن جهنم هى النتيجة الحتمية للإنسان الذى أضله الشيطان فأطاعه وذلك بنص الآيات الشريفة مثل :

(أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَابَنِى آدَمَ أَن لاتَعْبُدُوا الشَّيطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ . وَأَنِ اعْبُدُونِى هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ . وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلاًّ كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ . هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ.اصلَوْهَا اليَومَ بِمَا كُنتُمْ تَكفُرُونَ) .

وسيجتمع الإنسان والشيطان حول جهنم للحساب وهى الجزاء الخالد للظالمين وذلك بنص آيات القرآن الكريم :

(فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهم وَالشَّيَاطِينَ ثم لنحضرنَّهم حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا . ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهم أَشَدُّ عَلَى الرَّحمٰنِ عِتِيًّا . ثُمَّ لَنَحنُ أَعلَمُ بِالَّذِينَ هُم أَوْلَى بِهَا صِلِيًّا) .

وقد تكون محاولات الشيطان لضلال الإنسان إنما يعتقدها وسيلة لمحاولة تبرئة نفسه يوم القيامة حيث يشهد على الإنسان بالضلال ويحاول أن يلصق بالإنسان كل أسباب الضلال ومن ثم يستحق عقابها كجزاء عادل على نتائجها وذلك حسبما تشير إليه الآيات الكريمة :

(ونُفِخَ فى الصُّورِ ذَلِكَ يَومُ الوَعِيدِ . وَجَاءَت كُلُّ نَفسٍ معَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ . لَقَد كنتَ فى غَفلَةٍ مِّن هَذَا فَكَشَفنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ اليومَ حَدِيدٌ . وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَالَدَىَّ عَتِيدٌ . أَلقِيَا فى جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ . مَنَّاعٍ لِلخَيرِ مُعتَدٍ مُّرِيبٍ . الَّذى جَعَلَ مَعَ اللهِ إِلَـٰهاً آخرَ فَأَلقِيَاهُ فى العَذَاب

الشَّدِيدِ . قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ . قَالَ لاتَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِالوَعِيدِ) .

وهكذا يعتقد الشيطان أن تخاصمه للإنسان يوم القيامة فيه الوسيلة لمحاولة إظهار تبرئته نفسه وإلصاق الضلال بالإنسان بدون سبب من الشيطان .

وبمجرد أن ينجح الشيطان فى محاولاته مع الإنسان بصرفه عن العبادة أو إدخال الشك فى نفسه أو إبعاده عن الطريق المستقيم طريق الحق واليقين يتركه ليتخبط ويتمادى فى الضلال بل إنه علاوة على ذلك يقف منه موقف الشامت الذى يسره ما وقع عليه من الأذى والضرر ويتهرب من المسئولية تماماً .. وكثيراً ما يحس الإنسان بذلك وهو فى الدنيا فبعد أن يرتكب من المعاصى مالايستطيع إصلاحه أوردها يقف ليجد نفسه وحيداً مع ذنبه ويحس بفرحة الشيطان فيه ويندم ولات ساعة مندم فقد وقعت المعصية وقد تكون من المعاصى التى ألحقت بالإنسان أوبغيره الضرر مما لايمكن معه إزالته .. ويقرر القرآن الكريم أن بعض الكافرين ممن تولاهم الشيطان قد خرجوا من ديارهم فى جماعة يتفاخرون بأنهم فى طريقهم لصد الناس عن سبيل الله بحرب الإسلام ورجاله وكان الشيطان علاوة على توليه لهم يزين لهم أعمالهم الآثمة قاطعاً لهم الوعد بأنه لاغالب لهم وأنه سيعاونهم ويحميهم وينصرهم على أعدائهم .. فلما التقى الجمعان تراجع الشيطان وولى هارباً منهم

وأعلن براءته منهم حيث رأى مالا يستطع هؤلاء الكفار رؤيته .. فقد رأى الملائكة تقاتل مع المسلمين ولذلك فقد خاف الله وخشى من المسئولية فتهرب منها وذلك بالنص الشريف :

(وَلاتَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِم بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاس وَيُصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللهِ وَاللهُ بِمَا يَعمَلُونَ مُحِيطٌ . وَإِذْ زَيَّنَ لَهُم الشَّيْطَانُ أَعمَالَهُم وَقَالَ لاغَالِبَ لَكُمُ اليومَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُم فَلَمَّا تَرَاءَتِ الفِئتَانِ نَكصَ عَلى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّى بَرِىءٌ مِّنكُمْ إِنِّى أَرَى مَالاتَرَوْنَ إِنِّى أَخَافُ اللهَ واللهُ شَدِيدُ العِقَابِ) .

ولايقتصر تهرب الشيطان من مسئوليته مع الإنسان فى الدنيا إذ يتهرب منها فى الآخرة كذلك .. بل إنه فى الآخرة يلقى باللوم كل اللوم على الإنسان ويقرر له الحقيقة التى كانت قد غابت على الإنسان فى دنياه إن وعد الله هو الحق وإن وعد الشيطان هو الباطل وفى ذلك تقول آيات القرآن الكريم :

(وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِىَ الأَمرُ إِنَّ اللهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الحَقِّ وَوَعَدتكُمْ فَأَخْلفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِى عَلَيكُمْ مِّن

سُلْطَان إِلَّا أَن دَعَوتكُمْ فَاستجبتُمْ لِى فَلا تَلُومُونِى وَلُومُوا أَنفُسَكُمْ ما أَنَا بِمُصْرِخِكُم وَمَا أَنتُمْ بِمُصرِخِىَّ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَا أَشرَكتُمُونِ مِن قَبلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُم عَذَابٌ أَلِيمٌ) .

ومحاولات إيذاء الإنسان التى يبذلها الشيطان جاهداً للإضرار به ليست قاصرة على ما يوسوس له به .. أوما يدفعه إليه . . أوما يصوره له بل إن هناك ما هو أخطر من ذلك وأشد أثراً إذ قد يتخذ الشيطان عملا إيجابياً ضد الإنسان فيمسه مساً يجعله يحس بوجوده داخل جسمه وفى نفسه إحساساً صحيحاً عملياً فيضطرب بذلك حال الإنسان ويصاب بأعراض كثيرة وقد سبق القرآن الكريم إلى تبيانها وإيضاحها فتقول آياته الشريفة :

(وَاذكُرْ عَبدَنَا أَيُّوبَ إِذ نَادَى رَبَّهُ أَنى مَسَّنِىَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ).

وهذا تقرير قاطع على أن الشيطان يصيب الإنسان بمس يدفعه به إيجابياً إلى ما ينتج عنه التعب للإنسان والعذاب .. تعب الارتباك وعذابه وتعب ما يحسه الإنسان كأنه مرض وعذابه .. كما تقول الآيات الكريمة

(قُلْ أَنَدْعُو مِنْ دُونِ اللهِ مَالا يَنفَعُنَا وَلاَ

يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلى أَعقَابِنَا بَعدَ إِذْ هَدَانَا اللهُ كَالَّذى اسْتَهوَتهُ الشَّياطِينُ فى الأَرضِ حَيرَانَ لَه أَصحَابٌ يَدعُونَهُ إِلى الهُدَى ائتِنَا قُل إِنَّ هُدَى اللهِ هُوَ الهُدَى وَأُمِرنَا لِنُسلِمَ لِرَبِّ العَالَمِينَ) .

وإن الحيرة التى يسببها الشيطان للإنسان من أخطر الأمراض التى تصيب الإنسان فالحيرة نوع من القلق وفرع منه ويقول العلم إن الحيرة بمثابة نار هادئة تحرق النفس حرقاً بطيئاً حتى تحطمها تماماً وأنها استهلاك لطاقة الأعصاب بل والعضلات دون مبرر على الإطلاق .. فهى مجهود ضائع على الإنسان .. يصيبه بالتعب والإرهاق .. دون أن يكون للمجهود أى ناتج يعوض هذا الفقد العصبى والعضلى كما تقول الآيات الكريمة :

(الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لايَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِى يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ المَسِّ) .

أى يستطيع الشيطان أن يمس الإنسان بحيث يجعله يتخبط .. والتخبط المطلق هو التخبط فى الحركة .. فلا يستطيع الإنسان التحكم فى سيره .. فيسير وكأنه يترنح .. من دوار ودوخة .. ويحس كأن الأرض تميد به .. أو يفقد القدرة على تقدير الخطوة المتزنة لقدمه .. أو حساب المسافة الصحيحة لها .. والتخبط فى الحديث .. فلا يعى ما يقول .. ولا يستطيع أن يربط بين ما قال وما يقوله وما يجب أن

يقوله بعد ذلك .. والتخبط فى الفكر .. والتخبط فى العمل .. والتخبط ما هو إلا فقدان الإدراك الصحيح من الإنسان لأى شىء يهم به أويفكر فيه . وبديهى أن هذه هى علامات الجنون .. ويصيب مس الشيطان للإنسان بأمراض قد تتفق أعراضها مع أمراض أخرى .. وقد تتميز فتختلف عن أعراض الأمراض الأخرى كلها .. وبذلك إذا عوجلت على أنها أمراض مؤكدة أعراضها .. فلا يستجيب ذلك المرض لأى علاج .. وأما إذا ما اختلفت فإنها كذلك لا يجدى معها العلاج .

والمس كباقى إصابات الشيطان يحاولها مع الإنسان عن طريق روحه وليس عن طريق جسده .. فجسد الشيطان من نار لا يستطيع به أن يقترب من الإنسان و إلا أحرقه كما لا يستطيع أن يظهر به وهو على حقيقته .. وإنما يوسوس للإنسان عن طريق ما ينفثه فى نفسه من روحه .. وعند المس يطلق الشيطان روحه بحيث تؤثر تأثيراً إيجابياً فى عقل الإنسان .

وتروى النسخ المتداولة من الأناجيل أن سيدنا عيسى قد أخرج الشيطان من كثير من المرضى الذين كان المس قد أصابهم بحالات مرضية وبجنون أيضاً ففى إنجيل متى نجد النص :

(وفيما هما خارجان إذا إنسان أخرس مجنون قدموه إليه . فلما أخرج الشيطان تكلم الأخرس فتعجب الجموع قائلين لم يظهر قط مثل هذا فى إسرائيل . أما الفريسيون فقالوا برئيس الشياطين يخرج الشياطين)

وفى إنجيل مرقس نجد النص :

(وكان فى مجمعهم رجل به روح نجس . فصرخ قائلا آه مالنا لك يا يسوع الناصرى . أتيت لتهلكنا أنا أعرفك من أنت قدوس الله .

فانتهره يسوع قائلا : اخرس واخرج منه . فصرعه الروح النجس وصاح بصوت عظيم وخرج منه) .

وفى انجيل لوقا نجد نصاً يشير إلى أن الإنسان قد يمسه أكثر من شيطان إذ يقول :

(وعلى أثر ذلك كان يسير فى مدينة وقرية يكرز ويبشر بملكوت الله ومعه الاثنا عشر وبعض النساء كن قد شفين من أرواح شريرة وأمراض . مريم التى تدعى المجدلية التى خرج منها سبعة شياطين)

ويمكن أن يستمر مس الشيطان للإنسان سنوات عديدة ففى إنجيل لوقا أن امرأة كان بها روح أضعفها وكانت منحنية بسببها ولم تقدر أن تنتصب البتة ثمانية عشر عاما ، فوضع سيدنا عيسى يده عليها فاستقامت وقال (هذه هى ابنة ابراهيم قد ربطها الشيطان ثمانى عشرة سنة أما كان ينبغى أن تحل من هذا الرباط فى يوم السبت) .

ومس الشيطان للإنسان كان موضع الاهتمام لما يسببه هذا المس من أمراض مختلفة وتشير أقدم صفحات التاريخ إلى محاولات الإنسان المستمرة لعلاج المس وإخراج الشيطان من الإنسان فمنذ أن قدم إنسان الكهف القرابين إلى أصنامه لترضى عنه وتزيل منه وعكة الشيطان وهو يحاول جاهداً إيجاد الوسائل التى يعتقدها الطريق إلى إخراج الشيطان . . فنجد أبوقراط الذى عرف بأبى الطب يهتم بوسائل العرافة والسحر ومحاربة الشياطين وهو الذى قال عن الصرع الذى وصفوه بأنه المرض المقدس إنه خال من القداسة . . ثم جالين أمير الأطباء حيث يهتم باتخاذ الجديد من طرق طرد الشياطين ثم كرامر واسبرنجر وقد

ذاع فى زمانهما أنهما قاتلا أكثر من سبعين أميراً من الشياطين وسبعة ملايين وأربعمائة وخمسة آلاف وأكثر من الشياطين الأقل درجة منهم .. ولقد كانت الفكرة السائدة والتى ظلت فترة طويلة تبلغ مئات السنين هى المسيطرة على كل وسائل العلاج .. تلك التى كانت تقول بضرب الشيطان لاخراجه من جسد المريض بل وحتى إلى عهد قريب كان الجراح العظيم توماس ويليز من أكبر أطباء التشريح يقرر أن خير علاج لمرضى العقول هو الركل والقيد . ولذلك كان البروفسيور كالين ينادى بأن معظم حالات الاضطرابات والتى لا سبب عضوى لها لاتشفى إلا بشد الوثاق والضرب وقد نادى الدكتور ريل الألمانى والإخصائى فى الأمراض العقلية بما يسميه العلاج التعذيبى الذى لا يضر .

أما العلاج بالسحر والرقى والتمائم والتنويم فإنه بدأ ببداية إحساس الإنسان بالمرض واستمر معه إلى عهد قريب ولعل من أعجب هذه الوسائل تلك التى بدأت فى القرن السابع عشر وأحدثت ضجة عالمية فى كل أنحاء العالم وهذه الوسيلة أحدثها الطبيب النمساوى فرانز أنطون مسمر وأسماها العلاج السحرى وعرفت بعد ذلك بالمسمريزم نسبة إلى اسمه وإن كان قدم للمحاكمة بتهمة الشعوذة وحكم عليه بالإعدام إلا أن تجاربه وبحوثه التى وضعها لمعالجة المرضى عن طريق الهزات والإثارات التى تقوم بطرد الشياطين قد انتقلت إلى كافة أنحاء العالم واحتضنها الطبيب الإنجليزى اليوتسون الذى كان من ألمع رجال الطب الانجليزى فقد كان رئيس جمعية الأطباء والجراحين الملكية وأستاذ الطب فى جامعة لندن وهو مخترع سماعة القلب وطرق فحص القلب والرئتين كما

يستعملها الأطباء اليوم وقد اعتزل كل هذه الأعمال ليتفرغ لتجاربه فى المسيمريزم التى تتلخص فى اجتماع المرضى فى غرفة خافتة الضوء وحول برميل تبرز منه القضبان الحديدية التى يلمسها المريض فى مكان ألمه ويدخل مسمر على نغمات موسيقى هادئة ويلمس بقضيب من الحديد يمسكه فى يده المريض وعندما يصيح مسمر تعترى المريض نوبة هستيريه يفيق بعدها صحيحاً سليماً .. ومهما تكن طريقة مسمر بعيدة كل البعد عن التخيل أوالتصديق فى عصرنا هذا .. فإنها لاشك هى الأساس للتنويم المغناطيسى .. أما ما يتخذه الهنود من وسائل العلاج لطرد الشياطين وشفاء الأرواح فإنها مختلفة وكثيرة ومتعددة وتفوق التصور فى هيئتها .. كما تفوقه فى نتائجها .. فرغم غرابتها فإنها ذات نتائج حاسمة فى علاج كثير من الأمراض التى تعتبر من وجهة نظر العلم مستعصية على العلاج .. ولعل التنويم المغناطيسى هو الوسيلة التى بقيت بل وتقدمت وانتشرت فى كل دول العالم على الإطلاق .. والعلاج به إنما يتم بتأثير شخص قوى يقظ على شخص أضعف منه فى حالة وسط بين النوم واليقظة ويتم فيها طرد كل فكر متأثر بالمرض وإحلال فكر صحيح سليم بعيد عن المرض فى الإنسان .. ولايعرف العلم تفصيلا ما يحدث فى حالة العلاج بالتنويم ولا ماذا يتم ولاكيف يطرد الفكر ولاكيف يحل محله فكر آخر . ولكن لعل ارتباط روحين فى تعاون وثيق وإخلاص يكون أقوى فى تأثيره على الإنسان المريض من تأثير الشيطان .. والتنويم المغناطيسى من ضمن الوسائل الهامة بل والأساسية فى العلاج الحديث ، فى المؤتمر الأوروبى الرابع للأبحاث

السيكوسوماتية الذى عقد فى همبورج من بضعة أعوام فقط يتقرر أن التنويم وسيلة هامة جداً فى الانتقال بالعوامل والعمليات السيكوسوماتية وهى الجسمية والنفسية إلى الموضوعية بوصف أن التنويم ذاته أولا نتيجة سيكوسوماتية وثانياً هو يعمل بطريقة سيكوسوماتية وثالثاً أن الموقف التجريبى فى التنويم يمكن تكراره إلى مالانهاية وإن لم يثبت قط تمام الثبات بالنسبة للشخص الواحد . ويتقدم علم التنويم المغناطيسى ويعترف العلم بمكانته وتمنح أكبر الدرجات العلمية فى دراسته ويقول البروفسور برنيهم إخصائى طب الأعصاب والتنويم المغناطيسى إن فى استطاعة الأطباء عن طريق التنويم المغناطيسى والإيحاء أن يأتوا بالعجائب .

والعلم الحديث قد عاد إلى دراسة المس دراسة علمية موضوعية فإن التقدم الكبير فى العلم لم يمنع إنسان هذا العصر من الاهتمام بدراسة المس بل بالعكس يتزايد اهتمام الإنسان بدراسته ولقد وصل العلم الحديث إلى نتائج قاطعة فى هذا الميدان ولقد عرف المس بأنه (غزو روح مشاغب لهالة إنسان أى حلوله فى مجموعة الاهتزازات الأثيرية التى تعلو الرأس والتى يوجد فيها العقل ومراكز الحس جميعها فيسبب أمراضاً عصبية أو عضوية مستعصية) وبديهى أن الروح المشاغب أوالروح النجس يطلق على الشيطان وليس على روح الإنسان كما أن روح الإنسان الذى مات تنطلق إلى عالم آخر حيث تباشر حياة أخرى وحيث تعيش حياة البرزخ فيه ولايمكن أن تعود هذه الروح الإنسانية لتعيش فى جسد إنسان لتعذبه أوتصيبه بالضرر دون هدف أوقصد بل وبلا إمكانية منها حيث إن الروح بانتقالها من العالم الأرضى أصبحت

بذبذبة يستحيل معها العيش فى جسد آدمى تختلف يقيناً ذبذبته عن ذبذبتها .

ويقول العالم كارنجتون عضو جمعية البحوث النفسية الأمريكية فى كتابه (الظواهر الروحية الحديثة) عن حالة المس (واضح أن حالة المس هى على الأقل حالة واقعية لايستطيع العلم بعد أن يهمل أمرها مادامت توجد حقائق كثيرة مدهشة تؤيدها . وما دام الأمر كذلك فإن دراستها أصبحت لازمة وواجبة لامن الوجهةالأكاديمية فقط بل لأن مئات من الناس وألوفاً يعانون كثيراً فى الوقتالحاضر من هذه الحالة ولأن شفاءهم منها يستلزم الفحص السريع والعلاج الفورى . وإذا مانحن قررنا مكنة المس من الوجهة النظرية انفتح أمامنا مجال فسيح للبحث والتقصى ويتطلب كل ما يتطلبه العلم الحديث والتفكير السيكولوجى من العناية والحذق والجلد) .

وفى كتاب (تحليل الحالات غير العادية فى علاج العقول المريضة) يقول الدكتور بل (لدينا الكثير الذى يصح أن نميط عنه اللثام وعلى الأخص ماكان متعلقاً بحالة المس الروحى باعتباره عاملا مسبباً للأمراض النفسية والعصبية ولقد ظهر أن المس الروحى أكثر تعقيداً مما كان يظن أولا . ولاتتألف الشخصية الماسة من نفس مخلوق غير مجسد ولامن عقله وإرادته فقط بل هما فى الواقع شخصية مؤلفة من أشياء كثيرة . والشخصية الماسة المركزية وهى الشخصية التى اصطدمت أولا بمجمع حواس الشخص الممسوس وهى على وجه العموم قليلة المقاومة لإيحاءات الغير ومن ثم تصبح هذه الشخصية مطية سهلة لأولئك

الذين يرغبون فى الاقتراب من أى إنسان بهذه الطريقة التى تبدو كأنها لاشأن لها إلا فى الحصول على الترضية الخاصة لمجموع الأرواح الماسة كلها أوبعضها وبمضى الزمن يزداد التضام فى هذه العملية حتى يتم فى النهاية تلاشى الشخص الممسوس الذى يصل إلى مثل هذه الحال تلاشياً تاماً . . ويظهر أن للأرواح الماسة ثلاث نقط اصطدام رئيسية هى قاعدة المخ ومنطقة الضفيرة الشمسية والمركز المهيمن على أعضاء التناسل وأما الضجة التى لابد أن تحدث بهذا المس وتفاعلات الشخص الممسوس فيمكن دراستها فى مستشفيات الأمراض العقلية . . ومع ذلك فحينما يأتى ممارسو القوة الروحية الحديثون بالعجب العجاب فى طرد الشياطين أو الأرواح الماسة ومداوة المرضى والمحزونين فلايكون نصيبهم من بعض الأطباء إلا نظرة الزراية والاستخفاف) .

ويقول الدكتور جيمس هايسلوب فى كتابه عن المس (إنه تأثير خارق للعادة تؤثر به شخصية واعية خارجية فى عقل شخص وجسمه ولايمكن إنكار مكنة حدوث المس) .. ويرى بعض الأطباء كالدكتور كارل ويكلاند أن الجنون قد ينشأ من استحواذ روح خبيث على الشخص المريض فيحدث اضطراباً واختلالا فى اهتزازاته وأنه بالكهربائية الاستاتيكية تنظم الاهتزازات وتطرد الشخصية المستحوذة ويعود العقل إلى حالته الطبيعية دون تأثير شخصية ماسة له .

ولذلك فقد اهتم العلم الحديث بوسائل علاج مثل هذه الحالات وإن اختلفت الألفاظ واللغات التى وردت فيها طرق العلاج من المس فإنها كلها تتفق فى الجوهر والأصل ، فالدكتور باورز أستاذ الأمراض

العصبية في جامعة ميناپوليس بأمريكا يقول فى بيان هذا العلاج (كنت فى أيام شبابى أضحك ساخراً مستهزئاً بذلك الرأى القائل بأن الأرواح الخبيثة الشريرة المؤذية غير المتجسدة قد تحدث فى ظروف خاصة اضطرابات جسمية أوعقلية خطيرة لبعض الناس وكنت أحمل فى إحدى يدى كتاب بوخنر المسمى القوة والمادة وفى اليد الأخرى كتاب هكل المسمى لغز الكون وأسخر من الرأى القائل بأن أى روح ابتداء من يسوع المسيح إلى العمة ماريا تستطيع أن تساعد على إزالة بقايا الثوب الطينى الرث البالى الذى نرتديه آلان أو أن تزيل من العقل ذلك السم الروحى الذى يحول التفاعلات العقلية إلى هذيان الأبله المعتوه أوإلى خبل الجنون القاتل أوإلى يأس المالنخوليا المفجع . ولايستطيع شخص ذكى أن ينكر أن هناك سبباً لمعظم الأمراض التى تصيب الإنسان وآه لو يعرف هذا السبب .

ونحن نعلم أن عشرات من الجراثيم تحدث الأمراض المميزة لها لها إذا كان النشاط الفاجوسيتى أى المختص بالخلية الآكلة للدم منخفضاً أوكان المريض ضعيف المقاومة . ونعلم أن الغذاء الناقص وعلى الأخص الذى تنقصه بعض الفيتامينات أوالأملاح المعدنية يحدث لامحالة كساحا أوبلاجرا أواسقربوطا أوأى مرض من الأمراض التى تنشأ من فقدان هذه المواد الخاصة . ونعلم أنه إذا كانت الغدد الصماء لاتؤدى وظائفها بحالة طبيعية أو إذا كانت تنتهك بعض القوانين الأساسية لعلم الصحة أوكانت فقرات العمود الفقرى قد انزاحت عن مكانها الصحيح أوكانت هناك أية بؤرة لاعدوى فى مكان ما من الجسم فإن أمراضاً

معينة قد تظهر وتنمو . ونعلم أنه بالطب الباطنى أوالجراحة أوطب الأسنان أوطب العظام أو بالعدسات الكاسرة أوبطاعة قوانين علم الصحة أوبتجنب الإفراط فى جميع صيغه أوبغسل القولون أوبالعلاج الفسيولوجى أوالعلاج الكهربائى قد تحدث معجزات فى العلاج .
وأعرف أيضاً من تجاربى الطويلة أنه قد يمكن الحصول على نتائج مدهشة فى الحالات الوظيفية والعصبية باستخدام العلاج النفسى أوالإيحاء المغناطيسى . وقد برهنا أيضاً فى أمثلة لاتحصى صدق المثل اللاتينى القديم القائل العقل السليم فى الجسم السليم . فنحن قد عالجنا فعلا ألوف حالات الخلل العقلى بتطهير الجروح ومراكز العدوى فى الجسم وبما يسميه الدكتور ديلانى — وهو من كبار الجراحين فى نيويورك — تعقيم الدم برفع درجة حرارة الجسم ثم إبقائه فى حرارة الحمى ساعة أوأكثر فى كل جلسة . فباستخدام طريقة العلاج هذه التى هى أرقى طرق العلاج أمكن إبراء كثير من الأمراض المعدية فى وقت قصير مدهش بالنسبة لقصره بل إن بعضا من تلك الحالات الباثولوجية من أمثال الشلل العام والالتهاب المفصلى والعصبى ومرض النوم وكثير من الأمراض الأخرى المزمنة أوالمستعصية تستجيب للعلاج بتلك الحرارة الحمية المرتفعة .. ولكن بقطع النظر عن جميع معجزات العلاج التى تتم فى دنيانا هذه كل يوم .. مازالت هناك معجزات أخرى فى إبراء المريض والأعرج والأكسح والأعمى لايمكن تعليلها ولاينفع فيها العلاج الطبى أوالجراحى أوالسيكولوجى أوالاهتزازى وهى أنواع العلاج التى نهتم بها فى أيامنا هذه . تبقى بعد ذلك ألوف الحالات التى لم يجد فيها أشهر الأطباء وأشدهم تنطساً أدنى بارقة أمل والتى تم فيها مع ذلك

شفاء المرضى واستعادتهم الصحة والعقل خلال معجزة من معجزات الصلاة والابتهال أوالعلاج القدسى . ومن لغو القول أن ننسب هذه النتائج إلى تأثير الإيحاء لأن كثيرين ممن عولجوا بهذه الطريقة ونقهوا كانوا واقعين فى سبات عميق حينما بدأ المصلون صلاتهم وابتهالهم بجوار فراشهم . وقد حدث فعلا فى حالات أعرفها أنا شخصياً أن ابتهل إلى الله أن يمنح المريض مساعدة قدسية وكان ذلك فى اجتماع ضم بعض أصدقاء المريض المحتضر وعقد فى مكان يبعد أميالا عن مكان المريض . بل حدث مرة أن عقد الاجتماع فى مدينة أخرى نائية تقع فى منتصف القارة .. بل حتى المزارات أوما يسمونها الأماكن المقدسة تساهم بنصيب كبير من البينات على ذلك فزارات سان آن دى بوبر وسيدة لوردز والكعبة التى يقدسها المسلمون فى جميع أنحاء العالم ويحجون إليها وضفاف نهر الجانج وعشرات الكنائس والمعابد والآبار والعيون وغير ذلك قد اعتبرها الناس فى كل مكان وكل زمان مهبط معجزات عظيمة لاتحصى) .

ويقول الدكتور الكسيس كاريل الحائز على جائزة نوبل فى الطب والجراحة (قد تحدث بعض المناشط الروحية فى أنسجة الجسم وأعضائه تعديلات تشريحية ووظيفية معاً . وتشاهد هذه الظواهر العضوية فى عدة حالات من بينها حالة الصلاة . ويجب أن نفهم أن الصلاة ليست مجرد تلاوة ميكانيكية للأدعية ولكنها تسام صوفى أو انغمار الوعى واستغراقه عند التأمل والتمعن فى قانون ينفذ فى دنيانا ويتجاوزها معاً . ومثل هذه الحالة السيكولوجية ليست مفهومة وهى غير معقولة لدى

الفلاسفة والعلميين ومحظورة عليهم ، ولكن الظاهر أن الشخص البسيط يحس بالله سبحانه كما يحس بحرارة الشمس . والمريض الذى كتب له الشفاء لا يصلى لأجل نفسه عادة ولكنه يصلى لأجل غيره لأن مثل هذا النوع من الصلاة يتطلب إنكار النفس إنكاراً كاملا ، أى أنه يتطلب نوعاً أرقى من الزهد ويكون متوسطو الحال والمساكين أقدر من الأغنياء والمتنورين على هذا النكران الذاتى ، وحينما يكون للصلاة هذه الميزات فإنها تخلق ظاهرة غريبة إنها تأتى بمعجزة . ولقد آمن الناس فى جميع البلدان وفى جميع العصور بوجود المعجزات والشفاء السريع الذى يصيب المرضى فى أماكن الحج وفى بعض المزارات ولكن هذا الإيمان اختفى بتاتاً أمام قوة العلم الدافعة خلال القرن التاسع عشر واستقر الرأى عندئذ بشكل عام لا على أن المعجزات لم توجد بتاتاً بل على أنها مستحيلة الوجود ، ولكن إزاء الحقائق المشاهدة خلال الخمسين سنة الماضية لا يمكن أن تظل قائمة وجهة النظر هذه . وقد بنينا رأينا الحالى بخصوص تأثير الصلاة فى الحالات الباثولوجية على ما شاهدناه من المرضى الذين برئوا على الفور من أمراض مختلفة متعددة وتختلف عمليات العلاج قليلا فى شخص عنها فى آخر ، والشرط الوحيد الذى لا يمكن الاستغناء عنه لحدوث ظاهرة الإبراء هو الصلاة . ولا حاجة لأن يقوم المريض بنفسه بالصلاة ويكفى أن يقوم بالصلاة لأجله شخص آخر بجواره ولأمثال هذه الأمور دلالتها العميقة ، فهى تظهر حقيقة بعض علاقات لا تزال طبيعتها مجهولة بين العمليات السيكولوجية والعضوية وهى تثبت الأهمية المحسوسة للمناشط الروحية التى يهمل

بحثها كل الإهمال علماء الصحة والأطباء ، مع أنها تفتح للإنسان دنيا جديدة) .

وما زال العلم يجد ويجتهد ليضيف فى كل يوم الجديد الذى لم يكن معروفاً له من قبل عن مس الشيطان للإنسان وظواهره وأعراضه وعلاجه . وكل ما وصل إليه العلم قد سبقه القرآن الكريم إليه مع الفارق بين الطريقتين .. فارق يناسب المصدرين .. الله .. والعبد .. الخالق والمخلوق علاوة على سبق القرآن الكريم للعلم بأربعة عشر قرناً من الزمان . . كما أن العلم مهما وصل فلن يصل فى نهايته إلى كل ما وصل إليه القرآن الكريم وقدره .. فالله سبحانه وتعالى خالق الإنسان ويعلم ما يفيده وما يضره .. وخالق الشيطان ويعلم ما يمنعه عن الإنسان وما يحول بينه وبين إيذائه والإضرار به .. بينما العلم إنما يدرس الظواهر التى يراها . . ويجرى التجارب العديدة التى يقترحها .. ثم يقرر ما يعتقد أنه وصل إليه بهذه الدراسة وهذه التجارب . . لذلك فإن ما جاء بالقرآن الكريم وهو وحى الله سبحانه وتعالى لخاتم رسله وأنبيائه فيه الوقاية وفيه الشفاء وصدق الله العظيم الذى يقول عنه :

(وَنُنَزِّلُ مِنَ القُرآن مَاهُو شِفَاءٌ وَرَحمَةٌ لِلمؤمِنينَ)

ولقد أوضح القرآن الكريم للإنسان طرق الوقاية من الشيطان من كل المحاولات التى يبذلها لإيذاء الإنسان بالوسوسة له أو مسه أو التسلط عليه فتقول آيات القرآن الكريم :

(وَاتْلُ عَلَيهِم نَبَأَ الَّذِين آتَيناهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنهَا فَأَتبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الغَاوِينَ) .

ولذلك فإن أهم طرق الوقاية هي الإيمان بآيات الله سبحانه وتعالى والعمل بها والاستجابة لها وعدم الكفر بها إذ أن الانسلاخ منها وعدم التصديق بها والإعراض عنها هي سبيل قيام الشيطان بمتابعة الإنسان حتى يضله ضلالا بعيدا ويصبح بذلك فريسة له يتعقبه إلى أن يجعله من أعوانه الذين لا يستطيعون الفكاك منه أو الابتعاد عنه .. وما ذلك إلا لأن آيات الله سبحانه وتعالى التى نشاهدها فى الكون الكبير والتى نتلوها فى الكتاب العظيم .. القرآن الكريم .. إنما هى السبيل إلى إيمان الإنسان إيماناً تاماً قوياً كاملا بالله سبحانه وتعالى .. والنفس التى ملأها الإيمان بالله لا يجد فيها الشيطان مكاناً للوسوسة .. والقلب الذى انشغل بذكر الله لا يجد الشيطان فيه مجالا للهمس والغمز .. والعقل الذى اطمأن إلى وحدانية الله لا يشغله الشيطان بما يزعجه به .. أو يثيره فيه .. أما من ابتعد عن ذكر الله .. والتصديق بآياته .. فإن نفسه .. وقلبه .. وعقله .. تكون فى حالة إعداد واستعداد لتلقى ما يهمس به الشيطان .. وفى ذلك تقول آيات القرآن الكريم :

(وَمَن يَعْشُ عَن ذِكرِ الرَّحْمٰن نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ) .

وكل محاولة من الشيطان لمس المتقين أو الوسوسة لهم مقضى عليها بالفشل فإن المتقين الذين يأتمرون بأمر الله وينتهون عما نهى عنه ويذكرون الله دائماً .. إذا حاول الشيطان أن يمسهم ليعميهم أو يصرفهم عن طريق الحق فإن تقوى الله وإيمانهم به يجعلهم يذكرون الله دائماً ..

فيتذكرون فوراً ما أنزل الله من آيات بينات فيها الشفاء من كل محاولة يبذلها الشيطان.. فيتبينون بما جاءت به الآيات طريق الحق .. الذى هم فيه..وطريق الباطل الذى يدفعهم إليه الشيطان .. فيبصرون ويصبحون لذلك عصاة على الشيطان فى حمى بتقواهم من محاولاته ، وفى ذلك تقول آيات القرآن الكريم :

(إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُم طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ)

أما علاج الإنسان من مس الشيطان فإن القرآن الكريم قد أورد من الوسائل مايجعل العلاج ناجحاً .. وشاملا وأكيداً وسريعاً ومحققا.. وقد سبق العلم الحديث بما قرره فى هذا الشأن .. بل إن العلم ما زال يبحث بعد .. إلا أن دائرة بحثه لا تتجاوز الأصول التى أوردها القرآن الكريم . . وكل ما أوحت به الآيات الشريفة هى ما تدعو إليه التوصيات العلمية .. وتشير به كل الدراسات النفسية وتتخذه كل وسائل العلاج الحديثة مع تميز الوسائل التى أتى بها القرآن الكريم تميزا بعيداً وكبيراً يناسب مصدره. فالقرآن الكريم يبدأ بإعداد الإنسان إعدادا نفسياً ملائماً بحيث يجعله يستجيب حتما وفى عمق للعلاج فيقرر أن الله سبحانه وتعالى قد جعل عباده المخلصين فى عبادته فى حصانة وأمان من الشيطان حيث لاسلطان له عليهم وذلك بالنص الكريم حيث يخاطب الله سبحانه وتعالى الشيطان :

(إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيهِمْ سُلطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبعَكَ مِنَ الغَاوِينَ) .

وإن الشيطان اعترف وأقر بأن عباد الله المخلصين فى حصانة من غواياته وذلك بالنص الشريف :

(قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لأزَيِّنَنَّ لَهُم فى الأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُم أَجمَعِينَ . إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُم المُخْلَصِينَ) .

ولكن محاولات الشيطان متواصلة ومتلاحقة ومتعددة الصور ومستمرة والإنسان بطبعه خطاء وكثيراً ما يخطئ .. بل كثيراً ما تجرفه الحياة بأحداثها وتلهيه طرفاً عما يجب عليه من التفرغ الداخلى للارتباط بالله .. فيقع مالا بد منه .. حيث يصيبه الشيطان ببعض شره . . ويوسوس إليه بجانب من شكوكه . . وينفث فيه بعض سمومه . . ويصبح الإنسان موضع كيد الشيطان .. ولكن ذلك لا يجعل الإنسان ييأس من نفسه . . ولا ييأس لغيره .. بل ما أسهل محاربة الشيطان ، وما أيسر التغلب عليه إذ يؤكد الله سبحانه وتعالى للإنسان قوته وقدرته وضعف الشيطان أمام قوة الإنسان هذه حيث تقول الآيات الشريفة :

(فَقَاتِلُوا أَولِياءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيدَ الشَّيطَانِ كَانَ ضَعِيفًا) .

وكحلقة تالية من حلقات الإعداد النفسى للإنسان فى علاجه من إصابات الشيطان له تقرر آيات القرآن الكريم أن الإنسان فى محاربته للشيطان إنما يستعين بالله وأن الله سبحانه وتعالى بفضله عليه ورحمته به يحول بينه وبين اتباع الشيطان وذلك بالنص الشريف :

(وَلَوْلا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلاً) .

كما أن الشياطين لا تتنزل إلا على الآثمين .. الكاذبين .. وذلك بالنص الكريم :

(هَلْ أُنَبِّئُكُم عَلى مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ . تَنَزَّلُ عَلى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ) .

وإذا ما استبد بالإنسان الشيطان فوسوس إليه .. وتولاه .. فأضله .. ثم كان وأصابه بعد ذلك بالمس كان لا بد من العلاج الذى أمر به القرآن الكريم .. وليس من المصادفة أن تشير الآية الشريفة إلى علاج همزات الشيطان ثم تتبعها الآية التالية بعلاج حضور الشيطان للإنسان إذ أن ذلك إنما ليؤكد أن خطوات إصابة الشيطان للإنسان إنما تبدأ بالوسوسة وإثارة الشكوك وإلقاء الهمز واللمز والغمز فى نفس الإنسان فإذا ما تمكنت كان ذلك هو سبيل مس الشيطان للإنسان إذ تقول الآيات الشريفة من القرآن الكريم متتابعة .

(وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِن هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ . وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ)

فالهمزات أولا ثم إذا استفحلت وزاد أمرها وتمكن بها الشيطان من الإنسان فإنه يمسه .. وإذا كانت الاستعاذة بالله هى السبيل إلى وقاية الإنسان من الشيطان بكافة درجات إصاباته فإنها كذلك العلاج من الوسوسة

والهمزات .. ومن حضور الشيطان فى الإنسان ومسه له .. وإذا كانت وسائل العلاج بالعلم الحديث قد أوحت بالصلاة فإن الاستعاذة بالله سبحانه وتعالى التى تدعو إليها آيات القرآن الكريم كعلاج من إصابات الشيطان تدخل فيها الصلاة.. فالاستعاذة بالله هى الالتجاء إلى الله .. ويكون هذا الالتجاء بالدعاء والرجاء .. وخير وسيلة يلتجىء بها الإنسان إلى الله هى أن يقف بين يديه . . يدعوه . . فى رجاء .. وهذه تتحقق بالصلاة . . فخير دعاء هو ما يدعو به الإنسان الله فى صلاته بآيات الدعاء الواردة فى القرآن الكريم .. كما أن أقرب ما يكون العبد من ربه وهو فى سجود الصلاة .. وعندها يكون الدعاء مستجاباً قدر ما فيه من الرجاء .. وبذلك تكون الصلاة خير وسيلة لعلاج الإنسان الذى أصابه الشيطان بالوسوسة أو المس .. وإذا اشتد المس بالإنسان بحيث أقعده عن أداء الصلاة بالخشوع والانتباه الذى لا بد منه .. أو أبعده عن الاستجابة لأى دافع للعبادة .. أو أخرجه عن جادة الصواب .. وأدخل الضلال فى نفسه .. وأصابه بالاضطراب فى عقله .. فإن علاجه يكون على غيره .. بأن يصلى عليه .. ويدعو له .. ويرجو الله فيه .. وقد أمر الله سبحانه وتعالى نبيه الكريم بأن يصلى على المسلمين . . ويدعو لهم .. وفى هذا توجيه بأن يصلى الإنسان على غيره ويدعو له .. وذلك بنص الآية الكريمة :

(خُذْ مِن أَموالِهِم صَدَقَةً تُطَهِرُهُم وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيهِم إِنَّ صَلاتَكَ سَكَنٌ لَهُم وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) .

وتقرر آيات القرآن الكريم أن امرأة عمران استعاذت بالله من الشيطان الرجيم لابنتها مريم بعد أن وضعتها مباشرة وكذلك استعاذت لذريتها من بعدها مما يؤكد دعوة القرآن الكريم للناس بالدعاء لغيرهم والصلاة عليهم ورجاء الله فيهم وذلك بنص الآية الشريفة :

(فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعتُهَا أُنثَى وَاللهُ أَعلَمُ بِمَا وَضَعتْ وَلَيسَ الذَّكَرُ كالأُنثَى وَإِنِّى سَمَّيتُهَا مَريَمَ وَإِنِّى أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيتَهَا مِنَ الشَّيطَانِ الرَّجِيمِ) .

فحتى يكون الإنسان فى وقاية تامة من الشيطان .. وحتى يعالج نفسه من أضراره وإصاباته .. عليه بالالتجاء إلى الله .. والالتجاء الكامل السريع .. وما أجمل ما يأمرنا به القرآن الكريم فى النص الشريف والأمر الإلهى الحكيم :

(فَفِرُّوا إِلى اللهِ إِنِّى لَكُم مِنهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ) .

أى عليه بالصلاة.. فما أكثر الوقت الذى يجد الإنسان فيه نفسه خالياً.. وما أسهل دخول الشيطان للإنسان فى هذا الوقت .. وما أعظم أن يشغل الإنسان فيه نفسه بالصلاة .. فركعات شكر إذا ما أحس الإنسان بنعم الله عليه وارفة متتابعة .. وركعات استغفار إذا ما استشعر الإنسان فى نفسه القصور عن أداء الشكر كما يمكن .. والتقصير فى العبادة عما

يجب .. وركعات يؤديها الإنسان قربى إلى الله .. وركعات يهدى ثوابها للآخرين .. من الأحياء أو الأموات .. بالإضافة إلى الصلاة فى أوقاتها .. تجعل الإنسان فى حصانة تامة ووقاية كاملة من الشيطان .. وإذا أصابه أو مسه فى لحظات .. وجدها الشيطان مهيأة له .. فإن فى الصلاة كذلك والإكثار منها .. والدعاء لله .. والرجاء فى الله .. الشفاء كل الشفاء .. وعلى الصحيح أن يصلى للعليل .. وعلى السليم أن يدعو للمريض .. وعلى الإنسان أن يصلى لنفسه قبل أن يفقد القدرة على الصلاة .. وأن يدعو لنفسه قبل أن يعجز عن الدعاء .. وأن يرجو الله قبل أن يمتنع عليه الرجاء .

عليه أن يلتمس فى فسحة عمره .. وإمكانيات طاقته..اللحظات التى يستجاب فيها الدعاء .. فيدعو الله .. فما أوسع باب الدعاء .. وما أعظم رحمة الله بعباده ... حينما كتب على نفسه إجابة الدعاء .. بنص الآية الشريفة :

(وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ) .

وهكذا يقرر القرآن الكريم أن الوقاية والعلاج من كافة محاولات الشيطان مع الإنسان إنما تكون بالصلاة .. والدعاء .. والالتجاء إلى الله .. بالرجاء .. وهذه هى الاستعاذة بالله سبحانه وتعالى التى تكرر الأمر بها وترددت الدعوة لها فى كثير من الآيات الشريفه كوقاية وعلاج من أمراض الشيطان بل من كل إصابات عالم الجن .. وذلك فى مثل الآيات الشريفة والأوامر الإلهية الحكيمة :

(وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللّٰهِ)

(وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِين .
وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحضُرُونِ) .

(قُل أَعُوذُ بِرَبِّ الفَلَقِ . مِن شَرِّ مَا خَلَقَ) .

(قُل أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ . مَلِكِ النَّاسِ . إِلٰهِ النَّاسِ . مِن شَرِّ الوَسوَاسِ الخَنَّاسِ . الَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ النَّاسِ . مِنَ الجِنَّةِ والنَّاسِ) .

وإن من خير ما يقوم به الإنسان فى حياته ألا يتبع خطوات الشيطان حيث أوضح الله جل شأنه فى عديد من آيات القرآن الكريم الشريفة محاولات الشيطان لإغراء الإنسان ونتائجها ولذلك فقد تكرر أمر الله سبحانه وتعالى للإنسان بألا يتبع خطوات الشيطان أمراً صريحاً ونصاً واضحاً فى أربع آيات كريمة منها :

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاتَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ)

هذا أمر الشيطان مع الإنسان .. أما ماذا يقوم به باقى أهل عالم الجن من المسلمين أو الفاسقين من غير المردة والشياطين .. فالله أعلم .. إذ لا يعلم الإنسان .. ولن يعلم .. فإن القرآن الكريم وهو المصدر الوحيد ، لذلك لم يفصح بما يجعل الإنسان يعلم ..

وهكذا فإن عالم الجن .. عالم حقيقى .. أثبتت الأبحاث العلمية وجوده بعد أن أوضحت آيات القرآن الكريم خصائصه وحددت معالمه وأوردت صفاته .. وكل زيادة فى بحثه يزيده غموضاً وكل تفكير من الإنسان فيه يثير عجباً .. وكل تأمل وتدبر فى هذا العالم المجهول يبعث فى النفس لله خشوعاً .. ويضيف إلى المؤمن على إيمانه دليلا .. ويغرس فى قلب الباحث المتشكك بالله إيماناً .. وبقرآنه الكريم تصديقاً .. ويقيناً ..

(ذَٰلِكُمُ اللهُ رَبِّى عَلَيْهِ تَوَكَّلتُ وَإِليْهِ أُنيبُ)

* * *

عالم الملائكة

يطالبنا الإسلام بالإيمان بعالم الملائكة إيماناً تاماً وكاملا، وذلك بنص آيات القرآن الكريم والتى منها :

(آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إليهِ مِن رَبِّهِ وَالمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبه وَرُسُلِهِ) .

ويتضح من النص علاوة على ما تقرره الآيات من وجوب الإيمان بالملائكة أهمية عالم الملائكة إذ يجعل الله سبحانه وتعالى الإيمان بها بعد إيمان الإنسان به عز شأنه وأن الكفر بها إنما هو من الضلال البعيد وذلك بمثل النص الكريم :

(وَمَنْ يَكفُرْ بِاللهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَاليَومِ الآخِرِ فقد ضَلَّ ضَلالاً بَعيدًا) .

وطبيعة تكوين الملائكة والمادة التى خلقت منها لايعرف الإنسان عنها شيئاً إذ لم يرد فى القرآن الكريم عن طبيعة خلق الملائكة إلا أنها ضمن

العوالم التى غابت عنا فلاتدركها أبصارنا فلا يمكن أن نرى الملائكة فى الأرض وذلك بالنص الشريف :

(قُل لَّو كَانَ فى الأَرضِ مَلائِكَةٌ يَمشُونَ مُطمَئِنِّينَ لَنَزَّلنَا عَلَيهِم مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكاً رسُولاً) .

وإيماننا بها إنما هو تصديق لما أخبرنا الله به فى كتبه التى أنزلها سبحانه وتعالى لبنى البشر فهى من الغيب الذى يجب أن نؤمن به وذلك بالنص الشريف .

(الَّذينَ يُؤْمِنُونَ بِالغَيبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزقنَاهُم يُنفِقُونَ) .

وكل مايعرفه الانسان عن مادة الملائكة أنها من نور وذلك بنص حديث سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى رواه مسلم فى صحيحه (خلقت الملائكة من نور وخلق الجان من مارج من نار وخلق آدم مما وصف لكم) .

وطبيعة النور الذى تتكون منه أجسام الملائكة يجعلها خالية من ظلمة داخلية فى نفسها أوظاهرة على هيئتها .. نقية من كل شوائب أو أدران .. بعيدة عن الوسوسة النفسية والشهوات الحيوانية لاتقترف الذنب ولا ترتكب الإثم بل معصومة من الخطأ والخطيئة .. وبذلك فإنهم معصومون حيث لايعصون الله إطلاقاً وفى ذلك تقول آيات القرآن الكريم :

(لايَعصُونَ اللّهَ مَا أَمَرَهُم وَيَفعَلُونَ مَا يُؤمَرُونَ) .

ويعلمون حدودهم ويعترفون بأن لا علم لهم إلا ما علمهم الله به وأنه سبحانه علام الغيوب وذلك بنص الآية الشريفة :

(قَالُوا سُبْحَانَكَ لاعِلمَ لَنَا إِلاَّ مَاعَلَّمتَنَا إِنَّكَ أَنتَ العَلِيمُ الحَكِيمُ) .

وأنهم يقدسون الله جل شأنه ويسبحون بحمده ولذلك فهم يكرهون الفساد بكل أنواعه وألوانه وفى ذلك تقول آيات القرآن الكريم :

(وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلمَلائِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فى الأَرضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجعَلُ فِيهَا مَن يُفسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ ونُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّى أَعلَمُ مَالاتَعلَمُونَ) .

وهذا القول من الملائكة لله سبحانه وتعالى ليس من باب الاعتراض على ما أراد ولكن من باب رغبتهم فى التعليم والمعرفة .. والاطمئنان إلى أن خلق الله سبحانه لآدم وجعله خليفة فى الأرض ليس بسبب عدم رضى الله جل شأنه على الملائكة ..

ولذلك فإن الملائكة تسبق كل الكائنات جميعاً فى شهادة التوحيد إذ أنهم أول من يشهدون بالوحدانية لله عز شأنه .. وذلك بالنص الكريم :

(شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لاإِلٰهَ إِلَّا هُوَ وَالمَلائِكَةُ وأُولُو العِلْمِ قَائِمًا بِالقِسطِ لاإِلٰهَ إِلَّا هُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ)

وأما جنس الملائكة فإن آيات القرآن الكريم قد أوضحت أن من يظنون أن الملائكة من الإناث ليسوا على الحق إذ لاعلم لهم بذلك بل إنهم الذين لايؤمنون بالآخرة وذلك بنص الآيات الشريفة :

(إِنَّ الَّذِينَ لايُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ المَلائِكَةَ تَسمِيَةَ الأُنثَى . ومَالَهُم بِهِ مِن عِلْمٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وإِنَّ الظَنَّ لا يُغْنِى مِنَ الحَقِّ شَيْئاً) .

وقرر القرآن الكريم أنهم عباد الله وليسوا إناثاً مما يوحى بأنهم من جنس واحد وليس مما نعهد بل إن من قال بأنوثتهم سيسأله الله عن ذلك ويحاسبه عليه وذلك بالنص الكريم :

(وَجَعَلُوا المَلائِكَةَ الَّذِينَ هُم عِبَادُ الرَّحْمٰنِ إِناثاً أَشَهِدُوا خَلْقَهُم سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُم ويُسْأَلونَ)

وعدد الملائكة أمر فوق التصور وغير قابل للتخمين ولا يمكن للإنسان أن يتكهن به .. ولقد أوردت آيات القرآن الكريم بالنسبة لعدد الملائكة ما يجعل البحث فيه مثيراً ورائعاً ومتلاحقاً ومتشعباً .. بحث يصعب الوصول فيه إلى نهاية بل إلى رأى .. ويدل ما جاءت به آيات القرآن الكريم دلالة قوية وأكيدة على أن القرآن الكريم إنما هو وحى الله سبحانه وتعالى على خاتم رسله وأنبيائه ويشير إلى الاتزان والتناسق والدقة وهى الظاهرة الواضحة الصارخة التى تحكم هذا الكون ويتصف بها والتى تُعتبر من آثار قدرة الله سبحانه وتعالى فى الخلق وبعض حكمته وعظمته ودليل من عديد على وجوده ووحدانيته ..

فان لفظ الملائكة قد تكرر فى القرآن الكريم ٦٨ مرة وهو نفس العدد تماماً الذى تكرر فيه لفظ الشيطان وأن عدد ماورد فى الآيات الشريفة من مختلف صور لفظ الملائكة كملك وملكا وملكين وملائكة هو ٨٨ مرة وهو نفس العدد تماماً أيضاً الذى تكرر فيه مختلف صور لفظ الشيطان كالشياطين وشيطانا وشياطينهم فهل هى مصادفة أن يتفق عدد المرات التى ورد فيها ذكر الملائكة فى القرآن الكريم وعدد المرات التى ورد فيها ذكر الشياطين رغم أنهما لم يجتمعا فى آية واحدة ؟ . أم أنها تشير إلى حقائق وأسرار يجب محاولة دراستها والبحث عنها والاجتهاد فيها على قدر الاستطاعة .. وأى توفيق يصل إليه المجتهد إنما هو من الله .. وأى خطأ يقع فيه إنما هو خطأ المجتهد .. والثواب على قدر ما قصد المجتهد .. فهل يشير هذا التساوى فى العدد إلى أنه كما لكل إنسان شيطانه الذى يحاول أن يضله ويدفعه إلى الشر فله ملك يحول

بينه وبين عمل الشيطان ويحاول أن يحفظه منه ويمنعه عنه إذ تقول آيات القرآن الكريم إن لكل إنسان حافظا عليه وذلك بالنص الشريف :

﴿ إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴾

ولقد وصل العلم فى أبحاثه الأخيرة فى ميدان الدراسات النفسية إلى وجود قوتين متصارعتين داخل كل إنسان إحداهما تدفعه إلى هلاك نفسه والتخلص من حياته والأخرى تحاول إبطال فعلها وإفساد عملها وتدعو الإنسان إلى الحفاظ على حياته والحرص على سلامته بل إن التوجيهات التى تصدر من الملائكة للإنسان فى داخله فيحس بها منبعثة من قلبه متجهة إلى خاطره كانت موضع البحث العلمى الواسع وقد كتب فيها وعنها علماء متخصصون فيقول وليم مولتون مارستن تحت عنوان (أطع هذا الحافز) مانصه (لبثت سنوات أبحث عن الينابيع الباطنة الخفية التى تكفل التوفيق فى الحياة وأحق بالتقديم منها العمل الذى يقوم به المرء بغتة وفى حماسة مستجيباً لما يهتف به من خطرات القلب . وأكثرنا يخفق فعلا من الحوافز الطيبة فى يوم واحد مايكفى لتغيير مجرى حياتنا .. وهذه الومضات الباطنة من الحوافز تضىء العقل هنيهة ثم تخبو ونقنع منها بوميض ضوئها الغارب ونكر راجعين إلى مألوفنا وفى نفوسنا إحساس غامض بأننا قد نصنع يوماً ما شيئاً فى هذا الأمر أوأن نياتنا على الأقل كانت طيبة غير أننا بهذا نجنى على ذاتنا الباطنة . إن فى كل منا دافعاً لايفتر إلى إبلاغ النفس غاية الميسور من كمالها وكلنا يعرف أى شخص يبغى أن يكون لأن هذه

الدوافع تدلنا وتهدينا وإن كان عدم الصدور عنها يضعفها على أن العمل بوحى الداخل ليس معناه احلال ذلك محل العقل وإنما معناه أن نتخذ هذا الوحى وسيلة لمعرفة الطريق الذى ينبغى أن يسلكه العقل وبديهى أن الطريق لايخلو من حفر وقد يكون من الخطر أن ننهض بغتة ونلقى بأنفسنا على مايدفعنا إليه أول الخاطر ولكننا نستطيع على الأقل أن نبدأ بالإكثار من الاستجابة إلى الدوافع الباطنة التى نعرف أن فى وسعنا أن نطمئن إليها ونعتمد عليها . قلب صفحات حياتك وراجع تجاربك فيها ترى أن كثيراً من أسعد ما مر بك فيها وأعظم ما وفقت إليه كان فترة العمل بوحى داخلى وهذا يعلمك أنه لاأمل لك فى دافع غير منظور إلى النجاح إلا من أعماق نفسك الباطنة فلتطع إذن خير ما يهتف بك من الحوافز وانظر كيف تمضى) .. وهكذا يثبت العلم وجود قوة خفية فى داخل الإنسان تدفعه إلى النجاح والتقدم وترسم له الطريق الذى يجب أن يسلكه العقل فهى بذلك أقوى من النفس وأفضل من العقل .. والأمثلة العالمية أكثر من أن تحصى أويشار إليها فهذا فردريك جرانت بانتنج أمضى ليلة من ليالى أكتوبر فى عام ١٩٢٠ يعد محاضرة عن مرض السكر وكان جراحاً كندياً لايكاد يكسب من عمله شيئاً فهو يحاضر ليكسب عيشه فأصابه البحث فى إعداد المحاضرة بالإرهاق فقام إلى فراشه ونام وفى الساعة الثانية بعد انتصاف الليل كان يتقلب فى فراشه فاستمع من داخله إلى ثلاث عبارات نهض فوراً من فراشه وسجلها فى مذكراته وكانت العبارات (اربط قناةالغدة الحلوة من غددالكلاب . انتظر من ستة أسابيع إلى ثمانية.

استأصل بقيتها واصنع منها خلاصة تعالج السكر) وكانت هذه العبارات التى أفضت إلى كشف الأنسولين .. وقال العالم الطبيعى الألمانى المشهور فون هلمهلتز (إن الأفكار المباركة كانت تنهال على بغتة ولم أبذل لها جهداً كأنها إلهام وأنها لم تخطر لى قط وعقلى مجهد بها أو وأنا أعمل مكباً على مكتبى) ويقول الدكتور الكسيس كاريل الحائز على جائزة نوبل فى الطب والجراحة (من المحقق أن المكتشفات العلمية الكبرى ليست من عمل الذكاء وحده فإن للعلماء الأفذاذ إلى جانب قوة الملاحظة والفهم صفة أخرى هى الحدس .. إنهم بالحدس يدركون ما يخفى على الآخرين ويتبينون علاقات بين أحداث منعزلة فى الظاهر ويخمنون وجود الكنز المجهول وعظماء الرجال جميعاً وهبوا الحدس . والرئيس الحق لا يحتاج لا إلى اختبارات سيكولوجية ولا إلى بطاقات الاستعلامات لكى يختار مرءوسيه والقاضى الصالح ليعرف دون استغراق فى تفاصيل الحجج القانونية بل وأحياناً على ما يقول (كاردوز) مع الاستناد إلى حيثيات خاطئة كيف يصدر حكماً عادلا . إن العالم الكبير يتوجه فوراً الوجهة التى تقوده إلى حيث يوجد اكتشاف يجب أن يتم .. هذه الظاهرة هى التى كانت تسمى فيما مضى بالوحى . والحدس فى حياتنا اليومية وسيلة قوية من وسائل المعرفة ولكنها وسيلة خطرة ومن الصعب أحياناً تمييزها عن الوهم . وعظماء الرجال والبسطاء وأتقياء القلوب هم وحدهم الذين يمكن أن يرتفع بهم الحدس إلى القمم العالية فى الحياة العقلية والروحية .. إنها ملكة فريدة وإن إدراك الحقيقة دون عون من التفكير والتدليل يبدو لنا أمراً لا تفسير له ..

يبدو الحدس فى إحدى صوره كما لوكان استدلالا غاية فى السرعة يتم فى لحظة خاطفة ومن المحتمل أن تكون المعرفة التى يكونها الأطباء العظام عن حالة مرضاهم ومستقبلهم من هذا القبيل ويحدث ذلك عندما نحكم فى لحظة على قيمة رجل ونخمن مزاياه ونقائصه .. ولكن الحدس يحدث فى صورة أخرى دون ملاحظة أواستدلال فنحن نبلغ أحياناً هدفنا المنشود دون أن ندرى شيئاً عن مكانه ودون أن نعرف وسيلة الوصول إليه) .

ولعل أغرب ما تقوم به الملائكة فى عونها للإنسان .. مساعدته فى حل مشاكله التى يعجز عنها . فكثيراً ماتتدخل الملائكة بإهداء الإنسان الحل الأوفق لما يكون قد استعصى عليه من أمور دنياه .. ويعجب الإنسان وهو يرى الحل وقد ألقى إليه .. وأيا كان هذا الحل بسيطا وسهلا .. أو صعبا ومعقدا .. فإنه لم يكن يخطر على بال الإنسان من قبل حتى يكون ذلك من عمل العقل الباطن أو اللاشعور ولكن الملائكة قد عاونته وساعدته وتكفلت عنه بالحل .. وقد اعترف علم النفس بحل المشكلات التى يعجز عن حلها الإنسان عن غير طريق فكره .. إذ توصى الدراسات النفسية أن يطرح الإنسان التفكير فى المشكلة إذا لم تحل فى الوقت المناسب أو لم يستطع تفكيره حلها .. فإنه بطرح التفكير فيها يجد الحل ينبعث من داخله .. إن ذلك انما هو بفعل الملائكة .. ومن عملها ..

وتشارك ملائكة أخرى غير التى تختص بكل إنسان فى معاونة الصالحين نفسياً وإسعادهم داخلياً إذ تتنزل على المؤمنين بالله الذين استقاموا على الطريق المستقيم تشجعهم وتعينهم على تقبل كل أحداث

الحياة وتبعد عنهم الخوف من كل ما يخيف الإنسان فى الدنيا والخوف من الأخرى بكل ما فيها .. وتحول بينهم وبين الحزن على أى ما يصاب به الإنسان وتثير فيهم البشرى .. وما أجلها وأعظمها من بشرى .. البشرى بالجنة .. وذلك بنص الآية الشريفة :

(إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيهِمُ المَلائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلا تَحزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِى كُنتُم تُوعَدُونَ) .

وما أبعد الفارق بين إنسان يعيش حياته خائفاً وجلا يخاف من كل شيء وأى شيء . . يحزن لكل أمر . . ومن كل أمر . . يعد الساعات واللحظات مشفقاً على نفسه من الآخرة .. آسفاً للموت وهو يترقبه .. ويتبعه . فزعاً من القبر ووحدته فيه .. مضطربا من الحساب والساعة .. وبين إنسان آخر . اطمأن كل الطمأنينة .. يسعد من كل شأن .. وبأى شأن . . يرى فى كل ما يقع إرادة الله . . إذا أصابه المكروه رضى وصبر واحتسب أجره عند الله .. وإذا أصابه الخير اطمأن به على رضاء ربه عليه .. يقضى حياته مترقباً لقاء الله .. كلما تقدمت به السن تعجل الساعة .. فما أسعد الإنسان الذى يطمئن إلى آخرته ويسعد كلما أحس بقرب نهايته ..

ولا يقتصر عمل الملائكة على ماتبعثه فى داخل الإنسان من الأحاسيس الصادقة والشعور الطيب أوتحاول به إفساد وسوسة الشيطان للإنسان بل إن لها من الأعمال الإيجابية المادية فى الحفاظ على الإنسان ما جعل

العلم يحنى هامته إجلالا لها بعد أن اعترف بخطورتها وعجزه عن كشف أسرارها .. إذ ما أكثر ما تقوم به الملائكة وما أعظم شأنه وأعجب حاله .. فإذا ما تركنا الخلية الذكرية المحددة التى تتجه دون الملايين غيرها من التى معها إلى البويضة الواحدة رغم ما بينهما من مسافات شاسعة ومجاهل ومتاهات بالغة وصعوبات وعوائق متعددة وتركنا الخلية الحية وأسرار انقسامها والإشراف الدقيق على هذا الانقسام وعجائب تجمعها وغرائب تصرفاتها والذى يجهل الإنسان سببها ودوافعها والسر وراء تصرفاتها إذ يقول الدكتور الكسيس كاريل (الواقع أن جهلا مطبق فأكثر الأسئلة التى يطرحها من يدرس أفراد الإنسان بقيت دون جواب .. كيف تنتظم الخلايا من تلقاء نفسها فى جماعات هى الأنسجة والأعضاء ؟ . وكأنها أشبه شىء بالنمل والنمل تعرف مقدماً ما هو الدور الذى ينبغى لها أن تلعبه فى حياة الجماعة . إن العلاقات التى تربط بين الشعور والخلايا المخية مازالت سراً غامضاً بل إننا نجهل فسيولوجية هذه الخلايا) .. إذا تركنا ذلك واتجهنا إلى النطفة وقد تم اخصابها لندرس كيف أن بيضة ضئيلة تتخلق طفلا لوجدنا أن ما يقوله الدكتور الكسيس كاريل فى مقدمة كتابه (قصة جنين) من أن هذا التخلق إنما يتم بأفعال كأنها من عمل السحر إنما يشير إشارة أكيدة وواضحة إلى بعض ما تقوم به الملائكة من عديد من الأعمال الإيجابية للإنسان والتى تستهدف الحفاظ على الكائن الحى الذى بدأ بخلية لاترى ومتابعة نموه والإشراف على تكوينه دون تدخل إطلاقاً من الأم أو الأب أوالجنين نفسه .. فكلنا كنا أجنة وكلنا آباء .. ومعنا

الأمهات . . ولم يحدث أى تدخل من أحد منهم فى خلق نفسه وهو فى رحم أمه .. ولم يشرف على خلق ابنه وهو جنين كذلك فى رحم أمه .. ففى لحظة الإخصاب نفسها لايتقرر وجود الكائن البشرى فقط ولكن يتقرر كذلك نوعه ذكر أو أنثى بل وشخصيته كاملة طوله وعرضه وملامح وجهه ولون عينيه وأوصاف شعره وصفاته المميزة .. إن التغير الخارق الذى يحدث خلال الشهر الأول من الحياة الجنينية من ثنايا المجهول وطوايا العدم إلى صورة الإنسان لشىء رائع وعجيب وغريب بل فى الحق إنها لأشياء لايكاد يصدقها عقل ولا يتخيلها فكر تفوق كل خيال وإنها لسلسلة من الألغاز والأحاجى تلاحق وتتابع منذ اللحظة الأولى وإن الشىء المحير جداً والعجيب جداً استطاعة هذه الهباءة التى لا تكاد ترى أن تحافظ على حياتها وتستمر فى انقسامها رغم قسوة الظروف التى تحيط بها والشدة التى تصاحبها وأسباب التدمير والفناء التى تلاحقها . . حقاً وصدقاً ما أعظم ما يقوم به الحافظ على كل نفس .. فالتغيير الذى يطرأ على هذه النطفة البالغة الصغر يستمر كل يوم بل كل لحظة ولا يمكن للإنسان أن يتابع هذا التغيير لأنه أسرع من المتابعة ويصل الجنين فى أسبوعه الثالث إلى طول ملليمتر ونصف فقط ، ورغم هذه الضآلة فى الحجم والدقة فى الطول والعرض فإنه يكون حياة طويلة وعريضة وعميقة ومعقدة ففيه أجهزة بدأت وأغشية متعددة وضحت ورقائق وصفائح كانت قد خلقت ولكنها عكست موضعها .. ففى اليوم السابع عشر من تكوين النطفة تمتزج خلايا دم كانت مبعثرة تسمى بالجذر الدموية لينشأ منها أنبوب

واحد هو أنبوب القلب وتحدث فيه أروع وأخطر وأدق عملية حيوية تحدث داخل الإنسان وتشير إلى قوة خفية هائلة رحيمة قررت وقدرت وأمرت فأطاع لها الوجود وتمتد إلى هذا الأنبوب ما تهزه هزة طفيفة تعقبها أخرى .. وسرعان ما يتداوله الانقباض والانبساط .. هذه الهزة ليست عملية إرادية وليست ناتجة عن أى اهتزاز داخلى أو خارجى أو نتيجة لانقسام أو تطور أو تحور ولكنها تحدث قسراً وعمداً فأى يد امتدت إلى هذا الأنبوب الذى لايمكن الحكم على طوله إذ أن طول الجنين نفسه بباقى أجهزته هوما يقرب من الملليمتر الواحد ونصف ويظل القلب يدق طالما للإنسان عمر فى حياته .. فإذا انتهى أجله فلاشىء يحدث لينهى حياته إلا وقوف هذا القلب عن النبض .. ودورة الدم فى الجنين تخالف دورته بعد مولده وما يحدث يعتبر من أعاجيب وغرائب الحياة ويشير إلى القدرة الخالقة وطاعة الملائكة التى تفعل ما تؤمر به ولاتعصى الله إطلاقاً فالجنين ليس فى حاجة إلى مرور الدم إلى رئتيه لأنه لايستطيع التنفس لذلك يمر الدم من الجهة اليمنى للقلب إلى الجهة اليسرى مباشرة من خلال فتحة فى الجدار الفاصل بينهما وقبل الميلاد بلحظات تقفل تلك الفتحة وتحدث بدلا منها اتصالات تستهدف عمل فتحات بها يتم مرور الدم فى الرئة وما ذلك إلا لأن وصول الدم إلى الرئتين أصبح أمراً ضرورياً لحياة الطفل بعد مولده ووضعاً حتمياً يناسب حياة الإنسان على الأرض بما عليها من هواء ينقى الدم داخل الجسم فى دورته المحددة وكيف أقفلت هذه الفتحة .. وكيف تتحول عملية مرور الدم إلى طريق آخر .. ما أروع العمل .. وما أعظم الطاعة .. سبحانك يارب ..

ودورة القلب أمر يثير فى الإنسان التعجب ويؤيد عظمة الخلق ويشير إلى بعض قدرة الله .. فالقلب يدق حوالى سبعين مرة فى الدقيقة أى أن المدة التى تمضى بين بدء كل دقة وبدء الدقة التى تليها حوالى ثمانية أعشار الثانية وهذه تسمى دورة القلب أى تتم فى أقل من ثانية وتفصيلها عجيب وغريب فكل دورة تبدأ بانقباض الأذين الذى يستغرق حوالى واحد من عشرة من الثانية ويلى ذلك انقباض البطين ويستغرق ثلاثة من عشرة من الثانية ويلى ذلك ارتخاء القلب وراحته لمدة تبلغ أربعة من عشرة من الثانية ومجموعها كلها ثمانية من عشرة من الثانية ولايختل ذلك أبداً ولايتغير إلا إذا استلزمت حالة الإنسان تغيير ذلك فقد تزيد ضربات القلب لمواجهة حالة طارئة لاتعالج إلا بمزيد من مرور الدم وقد تقل ضرباته إذا كانت حالة الإنسان تستوجب بطأ فى مرور الدم وقد أثبت العلم وجود موجة كهربائية فى القلب لايعرف سببها حتى الآن وتكون هذه الموجة كبيرة فى صغار السن وتضوئل مع تقدم العمر وهبوطها يعتبر الدليل على إصابة القلب وانعدام هذه الموجة يؤدى إلى الوفاة قطعاً. إنها رعاية وأى رعاية .

ويقف الإنسان مشدوهاً قد غمر الإيمان بالله وملائكته قلبه واستولى اليقين على عقله ووجدانه عندما يدرس حركة الطفل فى الرحم وقد قارب الاكتمال وحانت لحظة الميلاد إذ يتحرك الطفل حركات هادفة بحيث يصبح فى الوضع الملائم للولادة فتكون رأسه إلى أسفل وذراعاه مضمومتان إلى بدنه وركبتاه مرفوعتان إلى أعلى ورجلاه متقاطعتان وينزل إلى الحياة برأسه منكفئاً على وجهه وتكون أول لحظاته فى

الحياة نزوله ساجداً لله سبحانه وتعالى .. فمن حرك الجنين هذه الحركة المقصودة المتعمدة حتى تعينه على الولادة ؟ .

وما أكثر ما يحيط بالجنين وولادته من أسرار فإن عملية الولادة نفسها لايعرف حتى الآن السبب الحقيقي لإنهاء فترة الحمل وولادة الجنين التى تتم على مرحلتين الأولى حيث تحدث تقلصات رحمية تعمل على اتساع فتحة عنق الرحم وانفجار كيس مياه يبدأ بالنزول خارج الرحم لإعداد الجنين للمرحلة الثانية وهي مرحلة نبذ الجنين خارج الرحم وكلها عمليات لادخل للإنسان أى إنسان فيها ولكنها تشير إلى عظمة الخالق وطاعة الوجود له .. وعلى قمة الطاعة الملائكة الذين يحافظون على الحياة كما أرادها الله .. وتقول مارجريت شياجلبرت فى كتابها قصة جنين الذى فاز بجائزة أفضل كتاب عامى عن الولادة مانصه (إن الدافع الأساسي الحقيقى لعملية الوضع لايزال مجهولا وإنه لتحدث فى الرحم لعدة أسابيع وربما عدة أشهر قبل الوضع انقباضات عضلية بطيئة ومتوالية .. فلماذا يندفع الرحم فجأة بعد هذا الصبر الطويل على تلك الانقباضات غير المثمرة إلى تلك الحركات العضلية العنيفة الفعالة التى تطرد الجنين الذى طال الصبر عليه فى بضع ساعات ؟ . ذلك ما سيظل خاتمة الأحاجى لحياتنا قبل الولادة) .

ومن البديهيات العلمية والعقلية التى لاتقبل الشك أو الجدل ولاتحتاج إلى دليل لإثباتها أن كل حركة لا بد لها من محرك وأن الحركة الذاتية قد اكتسبتها من حركة أولى أصابتها من خارجها بمحرك وما أكثر

الحركات التى تشاهد داخل الإنسان ولايعرف لها أى سبب ويقف حائراً أمامها عاجزاً عن إدراك سرها ولكنه قد خلق يؤمن بالأكبر الذى أراد والأعظم الذى شاء فكان ما أراد وتمت مشيئته فأطاعته الملائكة .
وأعجب من حركة الجنين داخل الرحم ودقات القلب قبل وبعد الولادة حركة الأمعاء فللأمعاء الدقيقة حركة دورية وهى موجات انقباضية مسبوقة بموجات ارتخائية بسرعة تبلغ سنتيمترين فى الدقيقة وتهدف إلى تقديم الطعام إلى الأمعاء الغليظة ولها أيضا حركة مجزأة وهى حركة دائمة ومنظمة وتحدث مرة كل دقيقة وهى انقباضات تحدث فى وقت واحد فى جدران الأمعاء فتجزىء محتوياتها إلى أقسام متساوية صغيرة ثم تمزج محتويات كل نصفين متجاورين وهدفها مزج الطعام بالخمائر مزجاً تاماً يساعد على هضم الطعام وأما الحركة الثالثة للأمعاء الدقيقة فهى الحركة البندولية وهى حركة أجزاء طويلة للأمعاء تتحرك ذات اليمين وذات اليسار ولايعرف العلم بعد هدف هذه الحركة .. وللأمعاء الغليظة حركة دورية بطول الأمعاء وتحدث ثلاث مرات أو أربعا فى اليوم لتدفع مابها خارجها .. وتوجد علاوة على ذلك حركات أخرى لاترى وإنما تشاهد بنتائجها ..

وحركة المخ حيث يقوم بعدل الصورة التى تدخل إليه من العين مقلوبة .. فكل صورة تقع عليها العين إنما تدخل مقلوبة ويقوم المخ بعدلها .. إنها حركات دائمة طوال اليوم فإن العين لاتكل عن الرؤية إلا إذا نامت وهكذا لايهدأ المخ عن حركة عدل الصور إلاإذا نام الإنسان .. ولعل المخ يبدأ عمليات أخرى من الحركة .. إن الحركة

هى الصفة التى تحكم كل أجهزة الإنسان من خليته الحية وهى أصغر وحدة يتكون منها إلى حركته هو نفسه .. فالخلية تتحرك فى انقسام وتحوروبجموع الخلايا التى تكون الجهاز الدموى أوالهضمى أوالبولى أوالتناسلى أو العضلى أوالعظمى كله يتحرك حركات لادخل للإنسان فيها .. بل إن الإنسان نفسه كثيراً ما يتحرك فى اتجاه على غير إرادته ولايعرف ماذا دفعه إليه ولكن بعد أن يعرف النتيجة .. يتأكد أن هناك قوة ما .. تحافظ عليه .. قد غيرت اتجاهه من شر مؤكد كان سيقع عليه .. إلى سلامة وأمن .. استهدفتها هذه القوة التى غيرت من حركته . وعدلت من اتجاهه ..

إن الأسرار الرهيبة والمتعددة والتى لايمكن أن توضع تحت حصر والتى تشاهد فى جسم الإنسان لتشير بوضوح إلى تدخل مقصود وإلى قوى تعمل داخل هذه الأجهزة بعقل وفكر وإتقان يعجز عن إدراك مداه العقل البشرى وبالتالى لايمكن لغير هذه القوى أن تقوم به . يقول العلم بعد دراسة عملية ناجحة وصل فيها إلى الحقائق القاطعة: إن أصغر وحدة حية فى الجسم هى الخلية وهى وحدة محاطة إحاطة تامة بغشاء رقيق يسمح بقدر محدود من مرور السوائل والمحاليل وغيرهما من المواد منها وإليها بطاقة ودرجة دقيقة دقة بالغة لتحافظ على حياتها .. ولايقتصر الانقسام الحوى على مجرد إنتاج خليتين تماثلان تماماً الخلية الأصلية وإلا ما تكونت الأجهزة المختلفة ولا الأعضاء المتعددة إذ أن ما يتم بالانقسام أمر بالغ الغرابة شديد العجب .. يحمل معه أدق الأسرار .. وأغربها .. إذ أن تكاثر الخلايا إنما هو انقسام غير متكافىء

فى حقيقته ولوأنه متشابه فى ظاهره..إذ يحدث به ولادة خلايا تختلف عن الخلية الأصلية التى أنجبتها فى مستقبل عماها وما ذلك إلا لتتخذ مميزات خاصة بها من حيث شكلها الحالى ووظيفتها فى المستقبل.وبعد الانقسامات العديدة حيث تتكون الأعداد الهائلة التى لايمكن كتابتها رقمياً يمكن التعرف على أنواع الخلايا التى تتكون منها الأنسجة والأعضاء . وينتج عن تجمع هذه الخلايا المظهر المميز للنسيج بل والألياف والحبال التى تربط الخلايا فى نسيجها وتصل الأنسجة ببعضها وتسيطر على تجميع مذهل لكل الأجهزة . . فقد سبق أن شبه بعض العلماء جسم الإنسان من بعض الوجوه بدولة متحدة تتألف من ولايات كثيرة هى الأعضاء وتتمثل الوحدة النهائية فى هذه الدولة أى الفرد بالخلية ،ولكن هذا التشبيه ينهار فوراً ومن أساسه عندما ننظر إلى أعضاء الجسم وأجهزته الوظيفية ، فلايمكن لجهاز واحد من أجهزة الجسم أن يعمل مستقلا عن الآخر .. بل إن كل جهاز يرتبط بغيره ارتباطاً كاملا وشاملا وأساسياً وهاماً وواضحاً .. كيف لا وهو ارتباط الحياة .. فلا يقوم جهاز دون مساعدة الجهاز الآخر وتدخله .. بل إن عمل أى جهاز إنما هو صورة واضحة وناتج عمل جهاز آخر .. ويوجد فى كل عضو من أعضاء الجسم خلايا شابة دائماً على استعداد للانقسام والتكاثر .. فعند موت بعض خلايا جسم الإنسان .. وكثيراً ما يحدث .. بل لابد أن يحدث ذلك وفى كل وقت .. تسارع هذه الخلايا الشابة فى الانقسام ليعوض الجسم عما مات منه من خلايا .. وفى الأنسجة والأعضاء غير هذه الخلايا الشابة .. خلايا أخرى .. عاملة تفوق كثيراً ما يلزم هذه الأعضاء

للقيام بوظائفها خير قيام .. ويحرص الجسم على ادخار عدد كبير من هذه الخلايا .. فى حالة ترقب وسكون .. فإذا ما أصيب العضو بما يعطل بعض خلاياه عن العمل . . بادرت هذه الخلايا إلى معونة العضو بأن تعد بعضها للعمل فوراً لتساعد الجسم على الاحتفاظ بحالته الطبيعية فى العمل .

وهذه الخلايا لاعقل لها لاشك ولكن تصرفها إنما يشير إلى ماهو أعمق من العقل وأفضل من الذكاء .. إنه الإدراك والسيطرة التامة عليها .. ولعل ما يحدث فى خلايا الدم إنما يوضح بعض مظاهر القدرة التى تتصرف الخلايا طاعة لها.. فالدم يتكون من خلايا حمراء عبارة عن أقراص مقعرة من الناحيتين ويبلغ قطرها سبعة من ألف جزء من الملليمتر وسمكها حوالى جزآين من ألف جزء من الملليمتر ويوجد منها بدم الرجل حوالى ستة ملايين خلية فى كل ملليمتر مكعب وحوالى خمسة ملايين خلية فى كل ملليمتر مكعب بدم المرأة أى ما يقرب من خمسة وثلاثين ترليونا من الخلايا فى دم الإنسان والترليون هومليون المليون وغشاء هذه الخلية أمره عجيب فإنه مرن وشكله قابل للتغيير ويستطيع دون أى غشاء آخر أن يجعل الخلية تضمر وتصغر فى الحجم لتدخل وتمر فى شعيرات أضيق منها قطراً ويحدث ذلك دون أن يصيب الخلية أى تغيير على مكوناتها أو وظائفها .. ولهذا الغشاء خاصية أخرى عجيبة هى تحكمه فيما يسمح به من المرور إلى داخل الخلية الحمراء ، وما يخرج منها . . طبقاً لاحتياجات الجسم الفعلية ولكثرة أعمالها وسرعة حركتها ومرورها فى أوعية أضيق منها فإنها تتكسر وتتهشم بسبب ذلك وغالباً

ما يكون ذلك بعد مدة لاتقل عن عشرين يوماً ولا تزيد عن ستين يوماً ومن ثم فإن الأمر يقتضى بصفة مستمرة إنتاج عدد من هذه الخلايا ليظل الجسم دائماً بهذه الكمية من الخلايا الحمراء .. أما الخلايا الأخرى فى الدم وهى الخلايا البيضاء فإن أمرها أكثر عجباً من أختها الخلايا الحمراء .. فالطفل يولد وفى دمه عشرون ألف خلية بيضاء فى كل ملليمتر مكعب ثم يبدأ هذا العدد فى الهبوط بعد أسبوعين ويستمر الهبوط حتى يصل إلى سن العاشرة فيصل العدد إلى ثمانية آلاف خلية فى الملليمتر المكعب ويتغير هذا العدد إذ يتراوح بين ستة آلاف وعشرة آلاف من يوم إلى آخر بل ومن ساعة إلى أخرى ويبلغ أعلى مستوى عند السيدات فى أشهر الحمل الأخيرة إذ يصل العدد إلى سبعة عشر ألفاً من الخلايا البيضاء فى كل ملليمتر مكعب من الدم .. وهذه الخلايا ذات نواة وتقوم بأعمال بالغة الخطورة .. واضحة الهدف .. حكيمة التصرف .. فإنها تسير هنا وهناك فى كافة أنحاء الجسم تبحث بكل دقة وإتقان عن الأجسام الغريبة فى الدم كالجراثيم وغيرها فتبتلعها فوراً .. كيف؟ لايعلم أحد من البشر.. ثم تفرز عليها مواد هاضمة من خميرة داخل الخلية .. ومن العجيب أن هذه الخميرة لو خرجت من داخل الخلية البيضاء لفسد مفعولها وتلف عملها .. وأما إذا كانت الجراثيم أو المواد الضارة فى نسيج بالجسم فإن هذه الخلايا تمر بسرعة من جدران الشعيرات الدموية إلى النسيج المصاب وتشرع فوراً فى مكافحة هذه الجراثيم بابتلاعها .. وإذا كانت المعركة غير متكافئة .. أفرزت الخلية البيضاء كمية من خميرتها وبدلا من أن يفسد عملها

وتتلف .. نجدها صالحة للعمل .. أى أن فى لحظة واحدة .. ومن مصدر واحد .. يتغير القانون .. وتختلف القاعدة .. فتذيب الخميرة أجزاء النسيج التى ماتت من تأثير الجراثيم .. وبذلك يتكون الخراج والذى تحرص الخلايا البيضاء بشدة وتمسك على أن يفتح إلى الخارج .. وما الصديد الذى يخرج إلا العديد من الخلايا البيضاء ماتت أثناء هذه العملية الرائعة التى تتم بإتقان وفن غريب .. ويصور العلماء المعركة بين الخلايا البيضاء والجراثيم فى صورة أروع وأعظم من أى معركة حربية تتم بين الدول ويديرها خبراء متخصصون .. إذ تقوم الخلايا البيضاء بإرسال دوريات استكشاف .. ثم تتبعها بقوات ضاربة .. تحميها من على بعد خطوط دفاع تتمركز فى مواقع استراتيجية .. وتتقدم قوات كل خط حيث تقاتل بعيداً عن مكانها .. حماية للخط من أن ينهار . وكلما وقع خط .. تقدم الثانى .. والتضحية التى تقوم بها الخلايا أكبر من أن توصف والضحايا منها تبلغ دائماً عدة آلاف .

والعلماء لايجدون فى كل ذلك غرابة أوعجباً إذا ما قارنوا ذلك بالجهاز العصبى والخلية العصبية فإنها أكثر غرابة وأروع مثلا .. فمن العسير أن يتفهم الإنسان الجهاز العصبى على حقيقته فهو أهم وسائل تكامل الإنسان وقيامه بوظائفه فهو الذى يجمع بين كل الأجهزة ويربطها جميعاً بلوحة القيادة المركزية وهى المخ .. والخلية العصبية تختلف عن كافة خلايا الجسم فى أنها لا تعوض وكل خلية تتلف لن تنشأ بدلا منها خلية أخرى .. فالطفل يولد مزوداً بكافة خلاياه العصبية التى ستظل دون زيادة إلى نهاية حياته .

وخلايا الرئة .. وحويصلات الهواء .. بل وخلايا الأهداب والشعر .. وخلايا الجلد .. إنها سلسلة متلاحقة .. متتابعة من روائع العمل الجاد الهادف المحكم .. الذى يختلف فى شكله وفى طريقة الأداء إلا أنه يتفق فى شىء واحد .. هو الحكمة والقدرة التى تشير إلى وجود من يحكمها ..

ويضع العلماء قائمة طويلة تكاد لاتنتهى بالعجائب التى تتم داخل جسم الإنسان والتى تشير إلى قوى خفية تقوم بالحفاظ عليه وتدبير أموره ورعاية شئونه وتتصرف بحكمة وتقدير وبهدف واضح وأكيد هو حماية الإنسان ومساعدته فى كل ما يجعل حياته مستطاعة ومستمرة إلى أجل قد تحدد وموعد قد تقرر لافى لحظة مولده ولكن قبل مولده .. فى لحظة الله أعلم بها متى كانت .. ولا كيف كانت .. أراد الله سبحانه فصور الأحياء .. وخلق الأرواح .. وقسم الأرزاق .. وحدد الآجال .. وطالما الكائن فى حياة فإن الملائكة التى خصصت لحياته فى عمل للحفاظ على هذه الحياة إلى الأجل المحدد ..

ولعل أغرب مافى قائمة العلماء ولو أنها كلها تتنافس فى الغرابة .. عجيبة النوم .. ودور الملائكة فى ميدانها لاشك فيه .. إذ يقرر العلماء أنه لا إمكانية لتفسير النوم علمياً .. حيث يتم النوم دون تدخل من الإنسان .. فكما ينام على فراش وثير فإنه ينام على خشب أوحصير .. وكما يدب إليه النوم وهو مستلق على ظهره يستعد لاستقباله .. يباغته فجأة وهو على مقعد يعمل .. أو فى مكان لايتوقع فيه أى إنسان له النوم .. إن الإنسان ينام لأنه لابد له من ذلك .. فى لحظة خاطفة

تمسه الملائكة بالعصا السحرية .. فإذ به فجأة يفقد التحكم فى نفسه فلا يستطيع أن يحمل رأسه أو يسيطر على جسمه .. وتغمض عيناه وينتظم تنفسه ويهبط ضغط دمه ويبطؤ ضرب قلبه .. ومن العجيب أن الإنسان لو أصابه النوم ولو للحظات قصار ينهض أوفر نشاطاً وأكمل صحة وأهدأ بالا .. قد تضاعفت قدرته على العمل وزادت طاقته على السعى .. وإذا لم يصبه النوم لسبب أو آخر فقد القدرة على التركيز .. وقل نشاطه .. وتغير إدراكه .. وانحرف مزاجه .. ويقرر العلم أنه لاتغير عضوياً يتم بالنوم إطلاقاً ولم يشاهد أى اختلاف فى نسبة من نسب المواد الموجودة فى الجسم بالنوم ولايعرف حتى الآن السر فيما يسببه النوم من راحة للجسم وتنشيط لوظائفه يحس بها الإنسان بعد اليقظة .

وكما أن الشياطين هم نسبة معينة من عالم الجن الذى يبلغ عدد أفراده أضعاف عدد الشياطين إذ أن من الجن كثرة بالغة مؤمنة وأخرى فاسقة وغيرهم .. وكذلك فإن الملائكة الذين يكلفون بالحفاظ على الإنسان حيث لكل ملاكه أيضاً الواحد على الأقل ليتناسب مع الشيطان فهذه الملائكة هم نسبة من أهل عالم الملائكة .. إذ أن عدد الملائكة لابد أنه رهيب وكثير بل وبكثرة بالغة إذ ما أكثر ما تختص به الملائكة وما أخطره وأوسع مداه وأبعد شأنه فى عالم الأرض والسماء .. فمن الملائكة من يعاون أفرادها الإنسان فى الأرض على عمله طالما أنه فى عبادة الله وعلى تقواه ومن الصالحين وطالما أن هذا العمل من الطيب الذى يأمر به الله سبحانه وتعالى ويخدم الإنسانية

ويحقق خلافة الإنسان لله فى الأرض فيهدف إلى صلاحها ويحول دون فسادها .. وكثيراً ما يحس الإنسان إذا هم بعمل حسن يبتغى به ثواب الله بالعون الخارجى يتدفق عليه فيشعر بخفة فى أداء عمله ولعل ذلك يشاهد بوضوح لدى الأطباء لاسيما فى الجراحات الدقيقة ، إذ كثيراً ما يقول الأطباء إنهم وجدوا نهاية العصب تتداعى لهم وكأن يداً خفية تدفعها إلى حيث المبضع أو أن الشعيرة الدموية تبعدها عن مكان السلاح قوة غير منظورة .والجراحات الدقيقة كلها تقريباً تحدث فيها معجزات خارقة .. وإذا كان هذا هو الشأن فى الإنسان العادى فكيف بمن يتجه طوال وقته إلى الله بل وكيف بالصالحين من الناس وكيف بالأنبياء والرسل .. إن النسخ المتداولة من الأناجيل تذكر أن سيدنا عيسى عليه السلام عندما عصى الشيطان ونهره وتركه جاءت الملائكة تخدمه وذلك بالنص الوارد فى الإصحاح الرابع (حينئذ قال له يسوع اذهب ياشيطان . لأنه مكتوب للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد . ثم تركه إبليس وإذا ملائكة قد جاءت فصارت تخدمه) وقصص معاونة الملائكة للمؤمنين كثيرة وعديدة فقد نزلت الملائكة بأعداد ضخمة متتابعة تعاون سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وتحارب مع أتباعه من المسلمين عندما كانوا قلة صغيرة العدد ضئيلة العتاد وواجهوا عدوهم وعدو الله وكانوا فى أعداد كبيرة وعتاد عظيم وغلبت الفئة القليلة المؤمنة الكثرة الكبيرة الكافرة بمساعدة الملائكة .. وقد أحس المسلمون بالملائكة وهم يحاربون معهم ويقاتلون عدو الله ويقرر القرآن الكريم أن الملائكة كانت تحارب مع المسلمين بالآلاف عدداً وذلك بالنص الشريف :

(وَلَقَد نَصَرَكُمُ اللّهُ بِبَدر وَأَنتُم أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللّهَ لَعَلَّكُم تَشكُرُونَ . إِذ تَقُولُ لِلمُؤمِنِينَ أَلَنْ يَكفِيَكُم أَن يُمِدَّكُم رَبُّكُم بِثَلاثَةِ آلاف مِّنَ المَلائِكَةِ مُنْزَلِينَ . بَلى إِن تَصبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأتُوكُم مِن فَورِهِم هَذَا يُمدِدْكُم رَبُّكُم بِخَمسَةِ آلاف مِنَ المَلائِكَةِ مُسَوِّمِينَ) .

وهكذا كما تعمل الملائكة داخلياً فى الإنسان عن طريق ما تثيره فيه من أحاسيس طيبة وعمل صالح وعون للتغلب على وسوسة الشيطان فإنها تعمل إيجابياً لمعاونته ومساعدته عن طريق العمل المادى أيضاً وقد جمعت الآية الشريفة من القرآن الكريم والتى نصها :

(إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلى المَلائِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذينَ آمَنُوا سَأُلقِي فى قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضرِبُوا فَوقَ الأَعنَاقِ واضرِبُوا مِنهُم كُلَّ بَنَانٍ) .

العملين من أعمال الملائكة فى مساعدة الإنسان : الإيحاء الطيب الداخلى والاشتراك الفعلى الإيجابى . ولايمكن للإنسان أن يقرر عدد الملائكة الذين يوكلون لكل فرد فلا بد أنهم كثرة بالغة فإذا كان للإنسان ملك يلازمه ويظل معه فهناك كثرة تعاونه وتساعده

لايعرف عددها يقيناً إلا الله ، وقد روى أبو إمامة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال (وكل بالمؤمن مائة وستون ملكاً يذبون عنه مالا يقدر عليه) فإذا كان هذا العدد هو ما يدفع عن الإنسان مالا يستطيعه من الشر والضرر فكم يساعدونه فى الخير .. ويجلبون له السعادة . ؟ .

ويقول القرآن الكريم عن الملائكة التى تحفظ الإنسان بأمر الله سبحانه ما نصه :

(وَهُوَ القَاهِرُ فَوقَ عِبَادِهِ ويرسِلُ عَليكُم حَفَظَةً حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ المَوْتُ تَوَفَّتهُ رُسُلنَا وَهُم لَا يُفَرِّطُونَ)

وتشير الآيات إلى كثرة هذه الملائكة بمثل القول الشريف :

(لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمَن خَلفِهِ يَحْفَظُونَهَ مِنْ أَمْرِ اللّٰهِ)

والمتدبر لما حوله ليجد ميدان عمل الملائكة بحيث يشمل كل مايقع عليه بصره أويعمل فيه فكره .. فكما يجهل الإنسان كيف بدأت ضربة قلبه الأولى .. إلا أنها تستمر .. كذلك يجهل الإنسان كيف بدأت الموجة الأولى فى البحار والمحيطات إلا أنها تستمر .. وتظل تتلاطم وتتصارع وتتكسر على الشواطىء .. إلا أنها لاتهدأ إطلاقاً ليلا أو نهاراً مهما خفتت ودقت عن الرؤية .. ومن عجب أننا نرى

الموج يتلاطم ويتكسر ويتعانق مع هذا الشاطىء وكأنه قادم من الشاطىء الآخر .. والحقيقة أنه كذلك يتلاطم ويتكسر ويتعانق مع الشاطىء المقابل .. فكيف .. ؟ ومن يفرق البحر فترسل الأمواج هكذا لتستمر فى عملية من أخطر وأروع وأهم العمليات الحيوية فى الوجود . فمياه البحار والمحيطات مياه واقفة وبها نسبة من الأملاح حتى لاتتعفن هذه المياه وتصبح مصدراً خطراً ودائماً للإنسان .. فالأملاح إذن مادة حافظة للمياه حتى تظل على سلامتها وإذا وقفت الأمواج وهدأت . ترسبت ذرات الملح إلى الأعماق .. وتكون النتيجة زيادة تركيز الملح فى القاع فتموت فيه الكائنات الحية بهذا الارتفاع فى نسبة الملح .. وتقل نسبة الملح عند السطح حتى تنعدم وبذلك تتعفن المياه على السطح .. ولاتصلح للاستعمال وتنتشر الأمراض وتجعل الحياة غير مناسبة للإنسان .. وهكذا يعمل الموج .. ولهذا يستمر الموج . . وتلتقى الأنهار مع البحار .. والأنهار مياهها جارية وهى تسقى الحرث والنسل ولذلك فمياهها حلوة لتحقق أغراض الإنسان .. ووجود الملح فيها لا يفيد .. بل يضر الإنسان يقيناً إذ لو كانت مياه الأنهار كمياه البحار والمحيطات مازرعت أرض وما نتج ثمر .. وما ارتوى إنسان .. والأعجب أن مكان الالتقاء بين النهر والبحر .. يلتقى الماء العذب والماء المالح .. وعلميا وعلى حسب القوانين الطبيعية لابد أن ينتشر كل فى الآخر فينتشر الماء العذب مع الماء المالح .. وينتشر الماء المالح بما فيه من ملح فى النهر العذب .. ولكن نجد بينهما حاجزاً وسداً منيعاً .. فإذا وقف الإنسان عند نقطة الالتقاء وأخذ بيمينه ماء .. وبيساره ماء .. لوجد الاختلاف الشديد بينهما . . هذا عذب فرات .. وهذا ملح أجاج ..

وتهب الرياح .. وتتجه بقدرة الله وحكمته حيث شاء .. وتتخلق السحب . . وتتناثر أو تتجمع وتنعدم .. أوتهطل أمطاراً .. وتتساقط على قوم ترتبط وسيلتهم فى الحياة بها .. أو تبتعد لحكمة عنهم ولتنهمر على قوم تصيبهم بها إصابات بالغة .. إنما هى أرزاق تمنح .. وقضاء يقع ..

وينمو الزرع فى مساحات متجاورة وبأصناف واحدة .. ومعاملات متشابهة .. فيصاب بعضها .. وينجو غيرها .. ليس ذلك صدفة .. أو خبط عشواء .. إنها لحكمة .. وإنها لإرادة .. ذات هدف وقصد .

إن كل ذلك ومثله الكثير يشير إلى طائفة معينة من الملائكة يدبرون الأمر من السماء إلى الأرض لتحقيق ما سبق فى علم الله ونفاذ ما جرى به القلم ..

فالملائكة تقوم بعملها من الله عز شأنه ولا تتصرف إلا رهن مشيئته ووفق إرادته .. فهم رسل الله سبحانه وتعالى الذين يباشرون تنفيذ ما كان فى علم الله ويصطفى الله سبحانه من الملائكة رسلا مرسلة إلى الناس علاوة على ذلك .. وذلك بنص الآية الشريفة :

(اللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ) .

وكانت الملائكة رسل الله لسيدنا زكريا حيث بشرته بسيدنا يحيى وذلك بنص الآية الكريمة :

(فَنَادَتهُ المَلائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلى فى المِحرَابِ أَنَّ اللهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيى مُصَدِّقاً بِكَلِمَةٍ مِنَ اللهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا منَ الصَّالِحِينَ) .

كما كانت الملائكة هى رسل الله سبحانه وتعالى إلى السيدة مريم لتأمرها بعبادة الله لأمر أراده جل شأنه حيث اختارها جل شأنه بما يجعلها قد اصطفيت على نساء العالمين وفى ذلك تقول آيات القرآن الكريم :

(وَإِذْ قَالَتِ المَلائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلى نِسَاءِ العَالَمِينَ . يَامَرْيَمُ اقنُتِى لِرَبِّكِ واسْجُدِى وَارْكَعِى مَعَ الرَّاكِعِينَ) .

ثم حملت الملائكة البشرى لمريم من الله عز شأنه بأنها أم المسيح نبى الله ورسوله وذلك بالنص الكريم :

(إِذْ قَالتِ المَلائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنهُ اسْمُهُ المَسِيحُ عِيسَى ابنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فى الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ المُقَرَّبِينَ) .

وبذلك فإن الملائكة إنما هم رسل الله سبحانه وتعالى سواء أكان ذلك للإشراف على تنفيذ إرادة الله أولنقل الرسالات من الله جل شأنه لعباده على الأرض ، وفى ذلك تقول آيات القرآن الكريم :

(الحَمْدُ للهِ فَاطِرِ السَّمٰوَاتِ والأَرضِ جَاعِلِ المَلائِكَةِ رُسُلاً أُولِى أَجنِحَةٍ مَّثنَى وَثُلاثَ وَرُبَاعَ).

وتقرر الآية الشريفة علاوة على أن الملائكة هم رسل الله حقيقة أخرى وهى اختلاف قدرات الملائكة وإمكانياتهم وطاقاتهم فهم ليسوا على درجة واحدة أو فى مستوى يتفقون فيه .. إذ تقرر آيات القرآن الكريم أن هناك من الملائكة من لاتغنى شفاعتهم شيئاً بالنص الشريف :

(وَكَمْ مِّن مَّلَكٍ فِى السَّمٰوَاتِ لاتُغنِى شَفَاعَتُهُم شَيئاً إِلَّا مِن بَعدِ أَن يَأْذَنَ اللهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَى).

كما أن هناك الملائكة الغلاظ الشداد أصحاب النار وفى ذلك تقول آيات القرآن الكريم :

(يَا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُم وَأَهْلِيكُم نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ لايَعصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُم وَيَفعَلُونَ مَا يُؤمَرُونَ).

وقد روى البخارى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (جاء جبريل فقال : ما تعدون من شهر بدرا فيكم ؟ قلت : خيارنا قال : وكذلك من شهر بدرا من الملائكة هم خيار الملائكة).

ومن الملائكة هؤلاء الذين أنيط بهم أن يسجلوا على الإنسان عمله فى كتاب هو سبيل الحساب يوم القيامة ودليل الأجر يوم الحساب وفى ذلك تقول آيات القرآن الكريم :

(وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمنَاهُ طَائِرَهُ فِى عُنقِهِ وَنُخرِجُ لَهُ يَومَ القِيَامَةِ كِتَاباً يَلْقَاهُ مَنشُورًا . اقرأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ اليَومَ عَليكَ حَسِيباً) .

وقد وصف القرآن الكريم هؤلاء الملائكة بالكرم وذلك فى النص الشريف :

(وَإِنَّ عَلَيكُم لَحَافِظِينَ . كِرَاماً كَاتِبِينَ . يَعلَمُونَ مَا تَفعَلُونَ) .

ولا يمكن أن يتخيل الإنسان بفكره المحدود وعقله المحدود مهما اتسع به الخيال وسرح به الفكر قدر كرم هؤلاء الملائكة بعد أن أطلق عليهم القرآن الكريم هذه الصفة .. فإلى أى حد يصل كرم هؤلاء الصفوة المختارة من الملائكة لعمل من أخطر وأدق ما يمكن أن تقوم به الملائكة .. مراقبة الإنسان وتسجيل أعماله وهم يعلمون أنه بناء على ما يكتبون سيكون الإنسان فى آخرته .. فهل كرم هؤلاء الملائكة يقف عند حد محاولة تبصرة الإنسان بسوء ما هو مقبل عليه إذا اتجه إلى الشر وإغرائه بكافة الوسائل على عمل الخير ؟ . أم أن من صور كرمهم أن الإنسان إذا انتوى عمل خير سارعت الملائكة فكتبته خيراً ليكون للإنسان جزاء النية الحسنة .. فإذا هم بعمله سجلته ليجازى على ذلك وإذا فعله أفردت له صفحات طوالا حيث تتعقب الحسنة أينما اتجهت إلى أن تصل إلى أبعد حد وإلى أقصى مكان وإلى كل من

استفاد بهاستفادة مباشرة أو غير مباشرة .. فقد يتصدق الإنسان بصدقة بسيطة تعين مريضاً على الشفاء فتكتب الملائكة هذه الصدقة.. وكلما أصاب هذا المريض الخير بعد شفائه فإن للصدقة التى ساعدت على شفائه أجر عمل كل خير يقوم به وكذلك مع كل من أنجب .. وقد يقوم الإنسان بعمل حسن .. مهما كان قدره .. فتكتب الملائكة عمله .. وقد يستحسنه غيره فيقوم به .. فله أجره على ذلك فإنه قد سن سنة حسنة له أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة .. وهكذا تظل الملائكة جاهدة للتقصى وتعقب الحسنة فإنهم يعلمون ما نفعل .. وأما إذا هم الإنسان بعمل سيئة .. ارتقبته الملائكة الكرام حتى يرجع عنها ولا يرتكبها وبذلك ينتصر الإنسان على شيطانه .. فهل تتخذها الملائكة الكرام السبيل لتسجل حسنة له على مخالفته شيطانه وعدوله عن الذنب .. وأما إذا ارتكب الخطأ .. فهل من كرم هؤلاء الملائكة أنها تنتظر حتى يندم الإنسان عليه ويتوب عنه ويستغفر الله منه .. فتسجل الخطأ مقروناً بالتوبة والندم والاستغفار ولتكون التوبة مع ما يقوم به مستقبلا من عمل صالح كإعداد له لأن يكون من ضمن من يبدل الله سيئاتهم حسنات وذلك كما جاء فى النص الكريم :

(إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَملاً صَالِحاً فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِم حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيماً)

وقد يكون كرم هؤلاء الكتبة من الملائكة فى صور أخرى ..

وبطرق غير ذلك .. فالله وحده أعلم بالقدر والصورة التى جعلهم سبحانه وتعالى بها كراماً .

وأيا كان عدد درجات الملائكة وقدر الاختلاف بينها والتفاوت فى منازلها فلعل أعلى درجة فيهم وأفضل منزلة بينهم هم الملائكة الحافون حول العرش إذ أنهم أقرب إلى صاحب العرش سبحانه وتعالى ولذلك فإنهم فى تسبيح بحمد الله على هذا القرب أولا وفى ذلك تقول آيات القرآن الكريم :

(وَتَرَى المَلائِكَةَ حَافِّينَ مِن حَولِ العَرش يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِم وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالحَقِّ وَقِيلَ الحَمدُ لِلّهِ رَبِّ العَالَمِينَ) .

وقد يكون هؤلاء الملائكة هم الذين يحملون عرش الله يوم القيامة وقد يكون غيرهم هم من وعدوا بهذا النعيم ويقول عنهم القرآن الكريم :

(فَإِذَا نُفِخَ فى الصُّورِ نَفخَةٌ وَاحِدَةٌ . وَحُمِلَتِ الأَرضُ وَالجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً . فَيَومَئِذ وَقَعَتِ الوَاقِعَةُ . وَانشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِي يَومَئِذ وَاهِيَةٌ . وَالْمَلَكُ عَلى أَرجَائِهَا وَيَحمِلُ عَرشَ رَبِّكَ فَوقَهُم يَومَئِذ ثَمَانِيَةٌ) .

أما الملائكة الذين لاعمل إلا التسبيح بحمد الله والسجود له جل شأنه فالله أعلم بموقعهم بين الملائكة وعدد هؤلاء الملائكة أبعد من

التصور وفوق التخيل فان السموات لاتتسع لمزيد منهم وفيهم تقول آيات القرآن الكريم :

(تَكَادُ السَّمٰوَاتُ يَتَفَطَّرنَ مِن فَوقِهِنَّ وَالْمَلائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِم وَيَستَغْفِرُونَ لِمَنْ فى الأَرضِ أَلا إِنَ اللهَ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ) .

ويقول عنهم سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم (أطت السماء وحق لها أن تئط مافيها موضع قدم إلا وفيه ملك ساجد أوراكع) .

ويتزايد عدد الملائكة وعلى الأقل هؤلاء الذين يوكل إليهم الحفاظ على الإنسان ورفع شر الشياطين عنه لمواجهة الزيادة المستمرة فى عدد البشر .. ولايعرف الإنسان يقينا كيف تتزايد الملائكة فإنهم لايتناسلون حيث إنما ورد فى آيات القرآن الكريم إنما يشير إلى أنهم من جنس واحد وليس بينهم الذكر والأنثى .. ولما كانت الملائكة إنما هى أجسام نورانية فلعل زيادة طاقة نورها يكون ناتجه انفصال أجزاء منها تصبح ملائكة وبالتالى يتزايد عدد الملائكة ولعل ما يسبب زيادة طاقة النور هو كثرة الاستغفار والتسبيح من الملائكة فتتكاثر من نفسها وبنفسها أو بكثرة استغفار الإنسان وزيادة تسبيحه فترتفع طاقة ملائكته بذلك وتتكاثر.. وعلى هذا تتزايد ملائكة الإنسان الطيبة الصالحة وهو ما يشاهد يقيناً بالبصيرة إذ أن الإنسان كلما استغرق فى استغفاره وتسابيحه كلما أحس بالرغبة القوية فى الاستمرار بل

والاستزادة والتعمق وكلما شعر بالنور يزداد ليغمر داخله والسعادة تنتشر لتملأ نفسه وكلما أحس بالعون ينبعث من قلبه .. والمدد يفيض حوله . . ولعلها دليل زيادة ملائكته أوعلى الأقل الملائكة من حوله .. وقد يكون التزايد عن الطريقين استغفار الملائكة وتسابيحهم يتزايد بها عددهم حيث تواجه هذه الزيادة الكثرة العددية والزيادة فى البشر واستغفار الإنسان وتسبيحه يتزايد به ملائكته التى تعاونه وتساعده وترشده وتحافظ عليه .. وبذلك يكون الاستغفار والتسابيح وكأنها الغذاء للملائكة بها تنمو .. وبها تتكاثر .. وبها تتزايد .

وقد تتشكل الملائكة لتظهر بغير صورتها الحقيقية لبعض الخاصة من عباد الله وأيا كانت التشكلات التى تظهر بها فعلى صورة جميلة وطيبة وغالباً ما ظهرت الملائكة فى صورة رجال على مستوى ملحوظ من جمال الصورة وإشراق الوجه..إلا أن هذه الأجساد التى تتشكل فيها تغاير طبيعتها الأجسام الإنسانية فلا تأكل ولا تشرب .. وقد ظهرت الملائكة لسيدنا ابراهيم عليه السلام على هذه الهيئة حتى أنهم عندما خاطبوه وتحدث معهم لم يشك لحظة فى أنهم من البشر فأعد لهم الطعام إلا أنه عندما رأى أن أيديهم لاتصل إلى الطعام ولا تمسك به لأنها ليست كاملة المادية تيقن أنهم ليسوا من البشر ودب فيه الخوف منهم وفى ذلك تقول آيات القرآن الكريم :

(وَلَقَد جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبرَاهِيمَ بِالبُشرَى قَالُوا سَلامًا قَالَ سَلامٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَاءَ بعجل حَنِيذٍ .

فَلَمَّا رَأَى أَيدِيَهُم لاتَصِلُ إِليه نَكِرَهُم وأَوجَسَ مِنْهُم خِيفَةً قَالُوا لاتَخَف إِنَّا أُرسْلنَا إِلى قَوْمِ لُوط).

وهكذا أيضاً ظهروا لنبي الله لوط ، وكانوا على هيئة البشر ولقد ساءه مجيئهم وضاق صدره بهم إذ اعتقد أنهم من قومه الذين يريدون أن يوقعوا به وبمن اتبعه وبأهله الضرر إلى أن خاطبوه وأبلغوه أنهم رسل الله إليه وأن قومه الذين يريدون الاعتداء عليه لن يصلوا إليه وطلبوا منه أن يخرج هووأهله من هذه المدينة حيث أمر الله بأن تهدم المدينة على من فيها وتقلب رأساً على عقب وذلك بنص آيات القرآن الكريم :

(وَلَمَّا جَاءَت رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِم وَضَاقَ بِهِم ذَرْعاً وَقَالَ هَذَا يَومٌ عَصِيبٌ). (قَالوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوا إِليكَ فَأَسْرِ بِأَهلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيلِ وَلا يَلْتَفِتْ مِنكُم أَحَدٌ إِلَّا امرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُم إِنَّ مَوعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ) .

ولقد رأى سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم سيدنا جبريل فى صورة دحية الكلبي أحياناً .. وأخرى فى صورة رجل آخر وقد قال

صلى الله عليه وسلم عن كيفيات الوحى (وأحياناً يتمثل لى الملك رجلا فيكلمنى فأعى ما يقول) ورآه غيره معه على صورة بشر.. فقد روى عن عمر ابن الخطاب أنه قال (بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لايرى عليه أثر السفر ولايعرفه منا أحد. حتى جلس إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه وقال يا محمد : أخبرنى عن الإسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (الإسلام : أن تشهد أن لاإله إلا الله وأن محمداً رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا) فقال : صدقت. فعجبنا له يسأله ويصدقه قال : فأخبرنى عن الإيمان قال : (أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره) قال : صدقت. قال : فأخبرنى عن الإحسان. قال : (أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك) قال : فأخبرنى عن الساعة. قال : (ما المسئول عنها بأعلم من السائل) قال فأخبرنى عن أماراتها قال : (أن تلد الأمة ربتها وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاة الشاء يتطاولون فى البنيان) قال : ثم انطلق فلبثت مليا ثم قال لى : (ياعمر ، أتدرى من السائل)؟ قلت : الله ورسوله أعلم. قال : فإنه جبريل آتاكم يعلمكم دينكم)

وقد يرى الإنسان الملائكة دون غيره من الناس فقد ورد عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال : (كنت مع أبى

عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده رجل يناجيه فكان كالمعرض عن أبى فخرجنا من عنده فقال لى أبى : أى بنى ألم تر إلى ابن عمك كالمعرض عنى ؟ فقلت ياأبت إنه كان عنده رجل يناجيه . قال : فرجعنا إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال أبى : يارسول الله قلت لعبد الله كذا وكذا فأخبرنى أنه كان عندك رجل يناجيك فهل كان عندك أحد ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (وهل رأيته ياعبد الله ؟ قال : قلت : نعم .. قال (فإن ذلك جبريل وهو الذى شغلنى عنك)

فقد رأى عبد الله جبريل على هيئة رجل بينما لم يستطع أبوه عباس أن يراه رغم أنهما كانا معاً . ومما يؤكد أن الملائكة يراهم بعض الناس دون البعض أن عائشة رضى الله عنها قالت :

(إن النبى صلى الله عليه وسلم قال لها : ياعائشة هذا جبريل يقرأ عليك السلام فقالت وعليه السلام ورحمة الله وبركاته ، ترى مالا أرى) تريد أن النبى صلى الله عليه وسلم يرى جبريل ولا تراه هى .. وتتمثل الملائكة فى صور بشرية عادية وتلقى بعض الناس لحكمة وهدف فقد روى عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن ثلاثة من بنى إسرائيل : أبرص وأقرع وأعمى أراد الله أن يبتليهم فبعث إليهم ملكاً فأتى الأبرص فقال أى شيء أحب إليك ؟ قال : لون حسن وجلد حسن ويذهب عنى الذى قذرنى الناس . فمسحه فذهب عنه قذره وأعطى لوناً حسناً وجلداً حسناً ثم قال : أى المال أحب إليك ؟ قال : الإبل . فأعطاه ناقة عشراء وقال بارك الله لك فيها . ثم أتى الأقرع فقال أى شيء أحب إليك

قال شعر حسن يذهب عنى هذا الذى قد قذرنى الناس فمسحه فذهب عنه وأعطى شعراً حسناً ، ثم قال فأى المال أحب إليك ؟ قال : البقر . فأعطى بقرة حاملا . وقال بارك الله لك فيها . ثم أتى الأعمى فقال أى شىء أحب إليك ؟ قال : أن يرد الله على بصرى فأبصر به الناس فمسحه ، فرد الله عليه بصره . ثم قال : فأى المال أحب إليك ؟ قال الغنم : فأعطى شاة والدة فأنتج هذان وولد هذا فكان لهذا دار من الإبل ولهذا دار من البقر ولهذا دار من الغنم . ثم إن الملك أتى الأبرص فى صورته وهيئته التى كان عليها يوم لقيهم (فقال : رجل مسكين قد انقطعت بى الحبال فى سفرى فلا بلاغ لى اليوم إلا بالله ثم بك أسألك بالذى أعطاك اللون الحسن والجلد الحسن والمال .. بعيرا أتبلغ به فى سفرى فقال له : الحقوق كثيرة.. فقال له كأنى أعرفك ألم تكن أبرص يقذرك الناس فقيراً فأعطاك الله ؟ فقال : إنما ورثت المال كابراً عن كابر ؟ فقال : إن كنت كاذباً صيرك الله إلى ما كنت . وأتى الأقرع فى صورته وهيئته فقال له مثل ذلك ورد عليه مثل مارد الأول ؟ فقال : إن كنت كاذباً صيرك الله إلى ما كنت . ثم أتى الأعمى فى صورته وهيئته فقال له : رجل مسكين وابن سبيل وتقطعت بى الحبال فى سفرى فلا بلاغ لى اليوم إلا بالله ثم بك . أسألك بالذى رد عليك بصرك.. شاة أتبلغ بها فى سفرى فقال : قد كنت أعمى فرد الله على بصرى وفقيراً فأغنانى . فخذ ما شئت ودع ما شئت فوالله لا أجهد اليوم بشىء أخذته لله فقال أمسك مالك فإنما ابتليتم فقد رضى الله عنك وسخط على صاحبيك) .

غير أن كل إنسان لابد له من رؤية الملائكة وذلك فى لحظات انتقاله إلى الحياة الأخرى .. إذ يرى الملائكة ببصره وبصيرته .. يراهم رؤية العين ويحس بالرؤية من داخله .. وتظل الملائكة معه طوال لحظات انتقاله . فكما تبدأ الملائكة عملها مع الإنسان فى اللحظات الأولى التى يتقرر فيها تكوين نطفته وكما تستمر فى رعايتها له والعناية به طول مدة تكوينه فى الرحم .. وكما تيسر له طريق الخروج إلى الدنيا وتتلقاه على أول عتبات الدنيا فإنها كذلك تقوم بمساعدته عند انتقاله إلى الحياة الأخرى ليتم مولده إلى الحياة الثانية بسهولة ويسر فإن الرحمة التى يفيض الله سبحانه وتعالى بها على عباده فى مولدهم تستمر وتتضاعف حتى تشملهم فى مماتهم ، وتظل تغمرهم بعد موتهم كما كانت تحيطهم قبل مولدهم .. كما أن الملائكة تحاول أن تبصر المنتقل إلى الحياة الأخرى بما هو مقبل عليه وتعمل على تنشيطه ومساعدته فى التعرف على الجو الذى أصبح فيه .. وتحاول جاهدة أن تحشد معها كل أحبته من الأهل والأقارب والأصحاب الذين سبقوه حتى يأتنس بمشاهدتهم .. ويطمئن بلقياهم .. ولذلك فإنه من المشاهد المألوفة على المحتضرين أنهم فى لحظات انتقالهم تعلو وجوه المؤمنين منهم بالله واليوم الآخر والملائكة ابتسامة السعادة وإشراقة النعيم..فقد قامت الملائكة بتيسير الأمر وتبسيط الانتقال وحملت له البشارات وأبلغته بما هو مقبل عليه من سعادة ونعيم .. ويقول القرآن الكريم بالنسبة للانتقال النص الشريف :

(قُل يَتَوَفَّاكُم مَلَكُ المَوْتِ الَّذِى وُكِّلَ بكُم ثُمَّ إلى رَبِّكُم تُرجَعُونَ) .

وهكذا يتقرر أن لكل إنسان ملكه الذى يتوفاه وهو ماوكل به وأما ماتقوم به الملائكة فى لحظات الاحتضار ومابعدها فتقرره الآية الكريمة :

(الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ المَلائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلامٌ عَلَيْكُمُ ادخُلُوا الجَنَّةَ بِمَا كُنتُم تَعمَلُونَ) .

وأما هؤلاء الذين ظلموا أنفسهم بكفرهم بما جاءهم ولم يؤمنوا به فإنه يصيبهم الفزع والاضطراب حيث لا يعرفون ما هم فيه . . ولم يكونوا يؤمنون بما هم مقبلون عليه .. ومن الطبيعى أن الملائكة وهم رسل الله للناس الذين آمنوا بالله سبحانه وتعالى إيماناً كاملا وتاماً وعميقاً قد استجابوا لما أمرهم به من خدمة الإنسان وبذل الكثير من الجهد طوال حياته منذ لحظة بداية تكوينه حتى مماته .. وبالرغم من أدلة الإيمان وعلامات التوحيد ووضوح دور الملائكة معه وإرسال الله سبحانه وتعالى لرسوله الكريم خاتم الرسل والنبيين برسالته الكبرى والأخيرة فيها الآيات البيانات والدلالات الواضحات فإن من الناس من يظلم نفسه بل ويظلم النوع الإنسانى كله بكفره . . بالنور الواضح الذى يراه كل أعمى .. فما بالنا بالبصير .. بكفره بالحق .. وهو جلى لا يحتاج إلى بيان أو دليل .. فمن الطبيعى أن ينال الملائكة الغضب والأسف والحزن .. ولذلك فإن الظالمين عندما تتوفاهم الملائكة ويستسلمون لهم بعد أن كفروا يحاولون التحلل مما عملوا وينكرون سوء أعمالهم وفى ذلك يقول القرآن الكريم :

(الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ المَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِم

فَأَلقَوُا السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعمَلُ مِن سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنتُم تَعمَلُونَ) .

إلا أن الملائكة تبلغهم أسوأ ما يمكن أن يسمعه إنسان والعياذ بالله إذ تقول بالنص الشريف :

(فَادْخُلُوا أَبوابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَبِئسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ) .

وتقرر لهم الملائكة أن عذابهم يبدأ منذ لحظة انتقالهم هذه وذلك بالنص الكريم :

(وَلَو تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِى غَمرَاتِ المَوتِ وَالمَلائِكَة بَاسِطُو أَيدِيهِم أَخرِجُوا أَنفُسَكُم اليَومَ تُجزَوْنَ عَذَابَ الهُونِ بِمَا كنتم تَقُولُونَ عَلَى اللهِ غَيْرَ الحَقِّ وَكُنْتُم عَن آيَاتِهِ تَستَكبِرُونَ) .

بل إن الملائكة تصب عليهم فى هذه اللحظات جام غضبهم فيضربونهم ضرباً شديداً من كل جهة : من أمامهم ومن خلفهم ويتوعدونهم عذاباً أشد .. عذاب الحريق فى جهنم وبئس المصير وذلك بنص الآيات الشريفة :

(وَلَو تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا المَلائِكَةُ يَضرِبُونَ وُجُوهَهُم وأَدبَارَهُم وَذُوقُوا عَذَابَ الحَرِيقِ .

ذَلِكَ بِمَا قَدَّمتْ أَيْدِيكُم وأَنَّ اللهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلعَبِيدِ) .

وتستمر صلة الملائكة بالإنسان حتى بعد موته..ويوم القيامة لها معه شأن وأى شأن بل كل الشأن..فإنها تتلقى الصالحين منهم تغبطهم على ما هم فيه وتسعدهم ببيان حقيقة ما هم عليه فى يومهم الذى كانوا يوعدون به وفى ذلك تقول آيات القرآن الكريم :

(لايَحْزُنهُمُ الفَزَعُ الأَكبَرُ وَتَتَلقَّاهُمُ المَلائِكَةُ هَذَا يَومُكُمُ الَّذى كُنتُم تُوعَدُونَ) .

أما من استحق العذاب ولم يعمل ليوم الحساب فإن الملائكة لها معه عمل وأى عمل..إنها تؤدى ما أمرها الله به مع كل ظالم لنفسه أوغيره.. إذ تأخذه بقسوة وتضع الأغلال فى عنقه وتسحبه إلى النار وبالسلاسل الطويلة تقيده . . عذاب فى عذاب .. وذلك بنص الآيات الشريفة :

(خُذُوهُ فَغُلُّوهُ . ثُمَّ الجَحِيمَ صَلُّوهُ . ثُمَّ فى سِلسِلَةٍ ذَرعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعاً فَاسْلُكُوهُ) .

وأما من دخل الجنة بطاعة الله سبحانه وتعالى وحسن عمله فى الدنيا ومعه من صلح من آبائه وأزواجهم وذرياتهم فإن الملائكة تستمر فى إكرامهم حيث توالى السلام عليهم وتحيتهم ويدخلون عليهم من أبواب الجنة العديدة زيادة فى الإمتاع وتزيداً للتحية والسلام حيث تقول آيات القرآن الكريم :

(وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابتغَاءَ وَجهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقنَاهُم سِرًّا وَعَلانِيَةً وَيَدرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُم عُقْبى الدَّارِ . جَنَّاتُ عَدنٍ يَدخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِن آبَائِهِم وَأَزْوَاجِهِم وَذُرِّيَّاتِهِم وَالمَلائِكَةُ يَدخُلُونَ عَلَيْهِم مِن كُلِّ بَاب . سَلامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُم فَنِعْمَ عُقبَى الدَّار) .

هذه هى بعض أعمال الملائكة التى تقوم بها مساعدة للإنسان ومحبة له وحفاظاً عليه .. ولايقتصر عمل الملائكة مع الإنسان على تلك التى توكل به وتخصص له .. بل إن الملائكة عامة بما جبلت عليه من خير وتميزت به من كرم وما غرس فيها من فضل وماهى عليه من نور تبذله لمن حولها ومن تسعى إليه أويسعى إليها لتحاول جاهدة وبكل الوسائل مساعدة الناس جميعاً ومن ذلك ما تقوم به من دعاء الله سبحانه وتعالى ليخرج عباده من ظلمات الكفر والجهل.. إلى نور الإيمان والعلم . . ومن ظلمات الحياة الدنيا إلى نور الآخرة وذلك بنص الآيات الشريفة من القرآن الكريم :

(هُوَ الَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُم وَمَلائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِين رَحِيماً).

كما أنها تصلى وتدعو للنبى صلى الله عليه وسلم محبة له ودعوة للناس لأن تصلى عليه وفى ذلك تقول آيات القرآن الكريم :

(إِنَّ اللهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسلِيماً).

وما أروع ما تقوم به أكثر الملائكة قرباً من الله سبحانه وتعالى إذ تعلم حملة العرش الكريم ومن حوله أنهم فى هذا الموقف أكثر استجابة للدعاء وأكبر أملا فى الرجاء فلاتتجه إلى الله إلا بالتسبيح والحمد والإيمان والاستغفار لعباده والدعاء لهم وما أفضل دعائهم .. المغفرة والجنة للعباد يدخلونها مع أهليهم .. ووقايتهم من كل السيئات ونص الدعاء كما جاء فى القرآن الكريم :

(الَّذِينَ يَحْمِلُونَ العَرشَ ومَنْ حَولَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِم وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَستَغفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعتَ كُلَّ شَيءٍ رحْمَةً وَعِلْماً فاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا واتَّبعَوُا سَبِيلَكَ وَقِهِم عَذَابَ الجَحِيمِ . رَبَّنَا

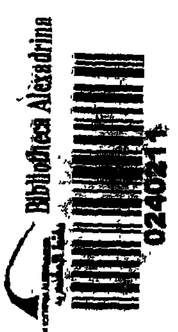
وأَدخِلْهُم جَنَّاتِ عَدن الَّتِي وَعَدتَّهُم وَمَن صَلَحَ مِن آبَائِهِم وَأَزواجِهِم وَذُرِّيَّاتِهِم إِنَّكَ أَنتَ العَزِيزُ الحَكِيم. وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنَ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَومَئِذ فَقَد رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الفَوزُ العَظِيمُ).

صدق الله العظيم

مؤسسة دار
الشعب
٩٢ شارع قصر العيني بالقاهرة
تليفون ٣١٨١٠

تحت الطبع

- **الأم**
  للإمام الشافعي رضى الله عنه
- **التفصيل والحياكة**
  بثينة الكفراوى
- **أشغال الصوف**
  بثينة الكفراوى
- **حرب الأيام الستة**
  للدكتور جمال الدين الرمادى
- **انتصارات عربية خالدة**
  للأستاذ السيد فرج
- **أبناء الرسول في كربلاء** (طبعة ثانية)
  للأستاذ خالد محمد خالد





الاثنين { ١١ رمضان ١٣٨٨
٢ ديسمبر ١٩٦٨ }

الشم